وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـــــــــامعة يحي فـــــــارس – المدية–

كليـــــــــــة الآداب واللغـــــــــــات

قسم اللغة والأدب العربي

خطاب الأفريقانية وتحطيم مركزية الرجل الأبيض في رواية "كوخ العم توم" للكاتبة هارييت بيتشر ستو

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

اختصاص أدب عربي حديث ومعاصر

إعـــداد الطالبة

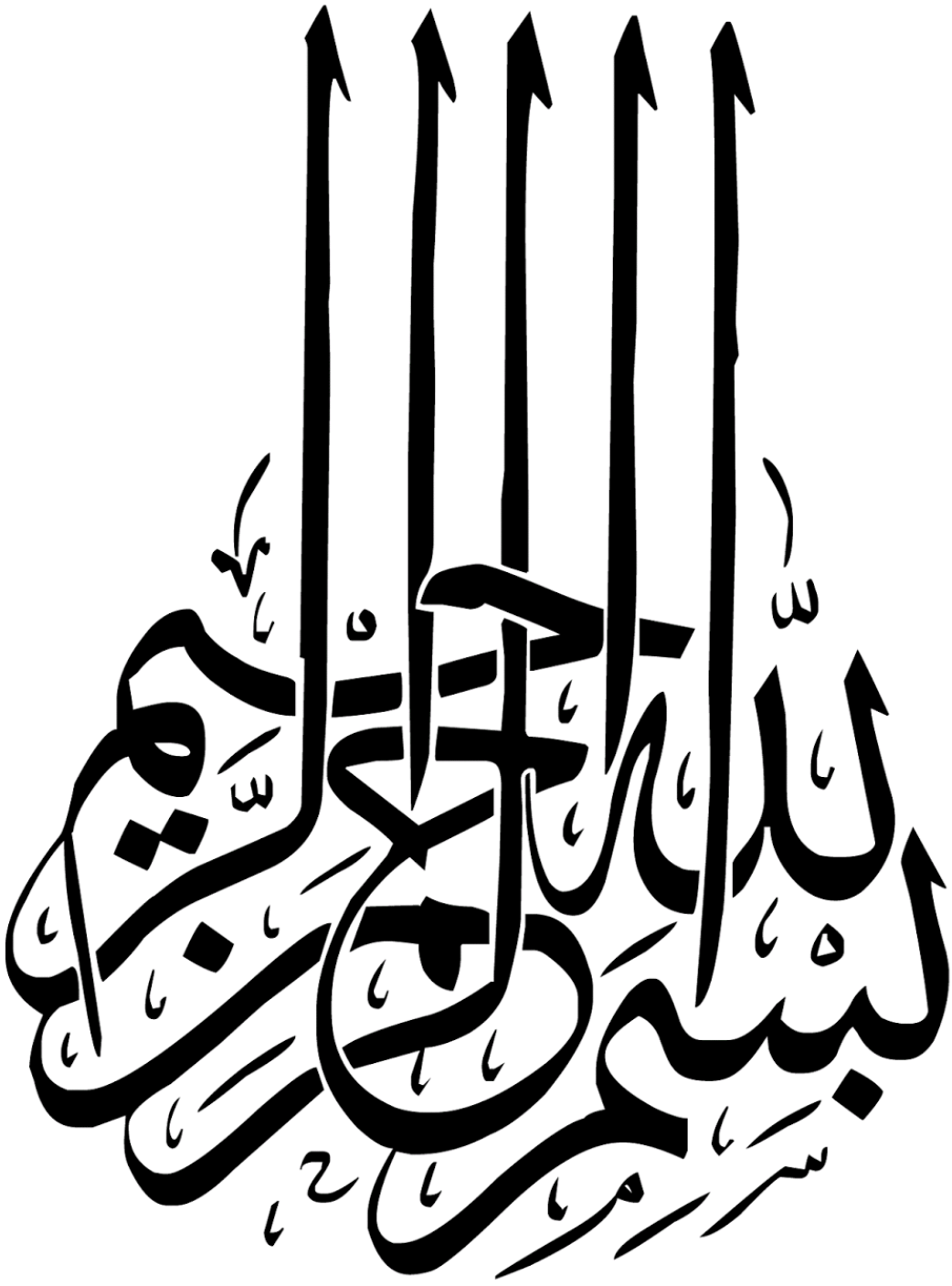
مريم بلعيدي

إشراف الدكتور

سليم حيولة

السنـــــة الجامعيـــة:

2020/2019


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد للّه ربّ العالمين ، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد في الأوّلين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين.

يطيب لي أن أستهلّ كلمة الشّكر هذه بحمد اللّه تعالى على ما أمدّني به من قوّة لإتمام هذه المذكّرة ، فلك الحمد ربي ما تناهى درب، ولا ختم جهد، ولا تمّ سعي إلاّ بفضلك.

وإلى الوالدين الكريمين أزفّ أجمل معاني الثّناء والشّكر تقديرا لمجهوداتهم وعرفانا بجمائلهم التي تعجز حروفي وكلماتي عن تعدادها.

كما أتقدّم بأسمى عبارات الشّكر والعرفان والتّقدير إلى أستاذي الدّكتور **سليم حيولة** الذي منحني شرف الإشراف على بحثي فكان لي خير مشرف ومعين وسند بعد اللّه تعالى في مسيرتي البحثيّة، وعلى ما قدمه لي من عون وجهد وتوجيهات حتى خرج هذا البحث في صورتّه الحالية.

فجزاه اللّه عني خيرا وأمده بالصّحة والعافية والسّتر، فله من المولى عزّ وجلّ خير الجزاء وله منّي خير الثّناء.

وأتوجّه بالشّكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرّموا عليّ بتقييم هذه المذكرة وإثرائها. فبارك الله فيهم جميعا وأطال الله في أعمارهم.

والشّكر موصول أيضا إلى جميع أساتذة قسم اللّغة والأدب العربي بجامعة المدية.

وفي الختام لا يسعني إلاّ أن أشكر أولئك الأخيار الذين دعموني بالكلمة الطّيبة التي كانت دافعا معنويّا لي من أجل مواصلة السّير على هذا الدّرب.

إهـــداء

أهدي مذكّرتي وفرحة تخرّجي

إلى قرّة عيني ونور دربي... أمّي.

إلى ضياء حياتي وسرّ سعادتي... أبي.

إلى توائم روحي إخوتي عبد الرحمن، ومروة.

إلى نبع الحنان وبيت الأمان جدّي وجدّتي حفظهما اللّه وأطال في عمرهما.

إلى خالتي وعمّاتي هنّ أمّهاتي إلى يوم وفاتي.

إلى أخوالي وأعمامي الذين أجلّهم وأحترمهم.

إلى من غيّبهم القدر ولا زالوا في قلوبنا... جدّي محمد، وجدتي فاطمة.

إلى أنسى وبهجتي... عائلتي الكريمة.

إلى صديقة عمري: رميساء.

إلى كل من ساندني وشجّعني بالقول أو الفعل طوال فترة الدراسة... أهدي لهم ثمرة جهدي.

مقدمـــــة

مقدّمة

ظهرت العبودية في الولايات المتّحدة الأمريكيّة مع نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر، مع قدوم أولى العبيد الزّنوج من إفريقيا لاستخدامهم في مزارع المستعمرات، بالتّحديد في فرجينيا أوّل مستعمرة إنجليزية تمّ جلب الزنوج لها، حيث بلغ عدد العبيد فيها سبعة ملايين إنسان كان معظمهم من الأفارقة السود، وقد اتّخذ الرّق في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، صفةَ المؤسّسة بموجب التشريعات والقوانين، ما جعل السود في أمريكا يتعرضون للاستعباد مدى الحياة، وعلى مرّ الأجيال.

تعدّ العبودية في الولايات المتّحدة الأمريكيّة من أبرز المظاهر الاجتماعية والإنسانيّة، التي أثرت على جميع جوانب الحياة، فقد كان سبب جلب الزّنوج في أول الأمر اقتصاديا؛ من أجل خفض تكلفة الإنتاج، وزيادة الرّبح، إلا أنّه بعد ذلك انعكس على كافة الجوانب الاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة، وقد كان الجدل الأخلاقي حول الرّق واحدا من الأسباب الرئيسية للخلاف الذي أدى إلى الحرب الأهلية الأمريكيّة، كما انعكس على الجانب الثّقافي والإنتاج الأدبي، سواء من خلال ظهور الأدب الإفريقي الأمريكي الذي كان يمثّل أحد مظاهر النّضال والمقاومة من أجل التّحرر، أو من خلال الكتاب والروائيين من غير السود، الذين كانوا يهدفون إلى التّعريف بمعاناة الزنوج؛ باعتبار الولايات المتّحدة الأمريكيّة تبرز فيها وبشكل واضح وجليّ إشكاليّة العلاقة بين البيض والسود في المجتمع الواحد.

ولذلك تهتمّ هذه الدّراسة، بالتّغلغل في اللّغة التي استخدمها الكتّابُ الأمريكيّون من أصول إفريقيّة، في القرن التاسع عشر، من خلال كتبهم، ورواياتهم، والتي تقدّم لنا من خلالها صورة كاملة عن تجربتهم القاسيّة، ومعاناتهم مع العبوديّة، الّتي كانت موجودة منذ العصور القديمة ولازالت مستمرّة إلى وقتنا الحاضر. والّتي تقوم على سيطرة السّيّد (الأنا) على العبد (الآخر) وممارسة مختلف أساليب العنف عليه، منطلقين من مبدأ تفوق وسيطرة البيض على السّود، والحاكم مقابل المحكوم، والغرب مقابل الشّرق وغيرها من الثّنائيات.

فلطالما عانى، ولا يزال يعاني الجنس الأسود في مختلف بقاع العالم، من اضطهاد الرّجل الأبيض له بسبب لونه، واعتباره استثناء؛ ليس له الحقّ لا في الحياة ولا في الحرّية، لذلك كان الغرض الرّئيس من روايات العبيد لفت انتباه المجتمع من مختلف الشّرائح، إلى معاناة الزّنوج في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، بصفة خاصّة والعالم بصفة عامّة.

وقد كان الأدب وسيطا قويا في تسليط الضوء على الأحداث الاجتماعيّة، والسّيّاسيّة، والتّاريخيّة، ورسم التّغيّرات التي تحدث في مختلف المجتمعات، في جميع أنحاء العالم. ومن خلاله لم يقتصر الكتّاب والمؤلّفون على رسم الصّورة الثّقافيّة، والسّيّاسيّة، لبلد معيّن فحسب؛ بل تجاوزوها للتّأثير في عقليّة المجتمع، وهو ما يتجلّى بشكل واضح في رواية "**كوخ العمّ توم**" للكاتبة الأمريكيّة "**هارييت بيتشر ستو**"؛ الرّواية الّتي أدّت إلى إحداث تغيّرات ملحوظة في تاريخ المجتمع الأمريكي، وتُعدّ أكثر أعمال

"ستو" تأثيرا، باعتبارها ألقت الضّوء على معاناة العبيد الزّنوج ذوي الأصول الإفريقيّة، في المزارع الجنوبيّة، في الولايات المتّحدة الأمريكيّة. ونتيجة لذلك أعربت عن عدائها الشّخصي لكلّ أشكال العبوديّة، من خلال هذه الرواية، الّتي حفّزت عقول النّاس حول النّظام القمعي، وقد كرّست فيها مهاراتها الأدبيّة لتّصوير بشاعة حياة العبيد في أمريكا، في ظلّ نظام العبوديّة القاسي.

وللكشف عن طبيعة الصّراع القائم في الأدب الأمريكي عامّة، وفي هذه الرّواية خاصّة، ارتأينا دراستها وفق ما يعرف باستراتيجية النّقد الثّقافي، الّذي يعتبر من أهمّ المقاربات النّقديّة المعاصرة، من خلال سعيه إلى تفكيك النّصوص وإعادة النّظر فيها باعتبارها عاكسة لحالة ثقافية، وبذلك يتجاوز الدّراسة الجماليّة إلى عمق النّصّ؛ فيُعنى بكشف الأنساق الثّقافيّة المضمرة في الخطاب الأدبي، أو النّص الروائي، الّتي لا نستطيع الكشف عنها إلاّ من خلال القراءة المتمعّنة والتّغلغل في ثناياها وعمقها، ومضمراتها.

ورواية "كوخ العمّ توم" هي رواية تحمل في طياتها الكثير من البنيات الثّقافية، وكان السعي إلى مسائلتها وتحليلها بغاية الوصول إلى الأنساق المضمرة فيها.

وعلى هذا الأساس، قمنا بدراسة الأدب الإفريقي الأمريكي، وذلك من خلال البحث في تاريخ نشأته، وأصوله، وإظهار السّمات الفنية، والخصائص الأدبيّة الّتي تميّز بها هذا النّوع من الكتابة، بغية تقصّي خصائص هذا الأدب، من خلالها. ومن هنا

جاء بحثنا موسوما بـــ **خطاب الأفريقانيّة وتحطيم مركزيّة الرّجل الأبيض، في رواية كوخ العمّ توم، لهارييت بيتشر ستو.**

إنّ اختيارنا لهذا الموضوع لم يكن محض صدفة، بل تمّ ذلك بعد تفكير عميق، ووعي مسبق، بأهميّة الكتابة الأفرو-أمريكيّة في الدّرس النّقدي المعاصر؛ كون الدّراسات العرقيّة من أبرز مسائل الدّراسات الثّقافية، وباعتباره أحد الأبواب التي فُتحت في الدراسات المعاصرة ولن توصد، فضلا عن القيمة العلميّة التي يحظى بها؛ لأنّه موضوع يتميّز بالعمق في الطّرح والدّراسة، وعلى الخصوص في هذا الظرف الذي تعيشه الولايات المتّحدة الأمريكية، جراء أحداث السابع والعشرين ماي من هذا العام، التي تمّ فيها مقتل شاب أمريكي أسود من أصول إفريقية، على يد الشرطة الأمريكيّة في ولاية "مينيسوتا" بسبب لونه.

وكون النّقد الثقافي إحدى الاستراتيجيات المتميزة التي برزت في الفكر النّقدي المعاصر، والذي ظهر بعد أن استنفدت المناهج النّقدية قدرتها في معالجة النصّوص، اخترنا الاعتماد عليه في مقاربتنا للنّص الأدبي الذي بين أيدينا، وكان إشعاع هذا المنهج وتفرده من أبرز الأسباب التي جعلتنا نرتكز عليه؛ وبعد إدراكنا لأهمية الموضوع العلمية الرفيعة أردنا التغلغل في حيثياته والتّوسّع فيه، لأنّه لم يستوف حقّه في البحوث الأكاديميّة على حدّ اطلاعنا، ومن هنا نكون قد رصدنا أهم الأسباب الموضوعيّة التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع ودراسته.

أمّا فيما يخص الدّوافع الذاتية فيمكن إرجاعها إلى رغبتنا في الغوص في مجال من مجالات النّقد المعاصر والتي تندر الدراسات فيها في تخصصنا –أدب حديث ومعاصر–؛ لأنّه يعدّ من المواضيع التي أثارت فضولنا العلمي والمعرفي، وهذا ما حفّزنا لنمضي قدما في دراسته. ومن بين الأسباب التي دفعتنا أيضا لخوض غمار هذا الموضوع هو شغفنا، وميلنا، وحب اطلاعنا على الآداب العالمية وبالأخص الأدب الأمريكي، والاطلاع على مضامينه، وقضاياه، لا سيما قضية العبودية، محاولين إدراك الدور الذي لعبه هذا الأدب في الولايات المتّحدة الأمريكيّة في توضيح مثل هذه المسائل.

وعلى هذا الأساس ارتأينا صياغة إشكاليّة هذا البحث على النّحو التالي:

فيما تتمثّل آلية اشتغال الأنساق الثّقافيّة في الخطاب الروائي الأمريكي؟ وكيف تتمظهر تجلّياتها في رواية "كوخ العمّ توم"؟

حيث تتفرّع من هذه الإشكالية الرّئيسية عدّة تساؤلات فرعيّة منها:

- ما المقصود بالرّق؟ وما هي مصادره؟
- ما هي التيمات الأساسية للأدب الإفريقي الأمريكي؟
- فيما تتمثّل الخصائص الفنية التي تميز هذا النوع من الكتابة؟
- ما مدى حضور الفرد الأسود في الرواية؟ وكيف عالجت الكاتبة العلاقة بين السود والبيض؟

- كيف تمثّلت الثّقافة الأمريكيّة في ثنايا نص رواية "كوخ العمّ توم" وما هي أهم الأنساق الثّقافية المضمرة فيها ؟
- ما دور الأدب في الحدّ من الظّواهر الاجتماعية –ظاهرة العبودية–؟

ومن أجل الإجابة عن هذه الأسئلة إرتأينا تأطير البحث بخطّة منهجيّة تستدعي تقسيمه إلى مقدّمة ترسم فيها المعالم الرّئيسية لهذا الموضوع، وفصلان الأول نظري والثاني مخصّص للجانب التطبيقي، ثم ذيلنا بحثنا بخاتمة تحوي أهمّ النتائج المتوصّل إليها.

حيث تمّ التّنظير لهذا الموضوع في الفصل الأوّل، الذي جاء معنونا بـــ "الخطاب الثقافي لزنوج الولايات المتّحدة الأمريكيّة، والّذي يضمّ مبحثين، وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن يكون المبحث الأوّل، عبارة عن دراسة تاريخيّة، تطرقنا فيها لكل منّ مفهوم الرّق، مصادره، وأصوله، اكتشاف العالم الجديد، كما تطرقنا إلى رحلة العبيد ذوي الأصول الإفريقية إلى العالم الجديد، وتحدثنا في المبحث الثاني عن الخطاب الإفريقي الأمريكي، وعن المركزية الغربية، ونشأتها ومراحل تشكلها، ثم تطرقنا لمفهوم النسق الثقافي.

أمّا الفصل الثاني فتضمن دراسة تطبيقية، حول اشتغال الأنساق في رواية "كوخ العم توم"، فقد قمنا باستخراج أهمّ الأنساق في الرواية، وهذا ما استدعى تقسيم الفصل إلى مبحثين، إذ درسنا في المبحث الأوّل سيرة حياة الكاتبة "هارييت بيتشر ستو"،

وظروف تنزيل الرواية، في حين تمّ تسليط الضوء في المبحث الثاني على الشخصيات الروائية، ونسق العبودية باعتباره أهمّ نسق بُنيت عليه الرواية.

وأنهينا بحثنا بخاتمة رصدنا فيها أهّم النّتائج التي تمّ استخلاصها من هذه الدّراسة، بالإضافة إلى قائمة المصادر، والمراجع، وفي الأخير وضعنا فهرسا للموضوعات.

وحتى يكون بحثنا في صميم الدراسة، اعتمدنا في هذا البحث على مقولات النّقد الثّقافي الذي يعتمد على الوصف والتّحليل، والمقاربة لتتبّع الأنساق المخبوءة في ثنايا النص الروائي، بالإضافة إلى المنهج السوسيوثقافي، لأنه يتناسب مع طبيعة هذه الدّراسة.

ولقد استعنّا في هذا البحث بمجموعة من المصادر، والمراجع، التي شكّلت مادةّ علميّة ثرية للموضوع الذي قمنا بدراسته، والخوض في رحابه الواسعة، إلا أنّنا سنذكر أهمّها:

- كتاب النقد الثقافي لعبد الله الغذامي
- موجز تاريخ الأدب الأمريكي لبيتر هاي
- الرّق ماضيه وحاضره لعبد السلام الترمانيني.
- موسوعة كمبردج في النقد الأدبي من تأليف ك.نلووف.ك. نوريس.جأوزيورن، ومراجعة وإشراف، رضوى عاشور.
- موجز تاريخ الأدب الأمريكي ل ريشارد غراي.(مصدر أجنبي غير مترجم)

ولأنّ سبل البحث تأتي محفوفة بالعراقيل، فقد واجهنا في مذكّرتنا هذه بعض الصّعوبات، والتي تعود بالأساس إلى صعوبة الحصول على المراجع التي تناولت هذا الموضوع، وباعتبار أن رواية "كوخ العم توم" رواية أمريكية، فمعظم الكتب التي تناولتها كتب أجنبية غير مترجمة، مما اضطرنا إلى ترجمة عدد كبير من الكتب والمقالات، التي تصبّ في صلب الموضوع من أجل إثرائه، وتقديمه على الوجه الذي يليق به، وذلك بترجمتنا نحن للبعض منها، والاعتماد فيما صعب علينا ترجمته على أساتذة أكفاء في صلب التخصص، من أجل الوصول إلى المعلومة كما وجدت في مصدرها الأصلي، وكما لا يخفى عنكم أنّ عملية الترجمة تأخذ وقتا وجهدا ومراجعة.

وفي ختام هذه المقدمة، وجب علينا أن نعترف بصاحب الفضل علينا، فنتقدّم بأرقى عبارات الشّكر والثّناء إلى أستاذنا الفاضل الدكتور "سليم حيولة" الذي منحنا من علمه ووقته، ولم يتوان في تقديم التّوجيهات والمعلومات القيّمة، فله من الله تعالى الأجر، ومنّا كلّ المحبّة والتّقدير.

الفصل الأوّل:
الخطاب الثقافي لزنوج الولايات المتّحدة الأمريكيّة

المبحث الأوّل: استعباد الآخر المختلف في الثّقافة الأمريكيّة

يعدّ موضوع الاسترقاق واستعباد الآخر ظاهرة اجتماعية، تقوم على السيطرة والهيمنة، هذه الظّاهرة كانت موجودة منذ الأزل، في الحضارات القديمة والأمم كالرّومانية، والبابليّة، والفرعونيّة ...وغيرها «**هذه الظّاهرة أصبحت مباحة في المجتمعات القديمة، فكانت تلك المجتمعات مقسّمة إلى أحرار وعبيد**»[1] وظلّت مستمرة إلى العصر الحديث. فالعالم الجديد منذ اكتشافه، عرف نوعا من التسلّط على الآخر الذي أطلق عليه اسم"الهندي"، وتمّ اختزاله وتهميشه واستعباده بأبشع الصّور، وبما أنّنا سنتناول في هذا المبحث قضية الرّق والاستعباد في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، فكان لزاما علينا توضيح نشأة هذه الظّاهرة، والوقوف على المعاملة التي تعرّض لها الآخر الزّنجيّ الذي نُقل إلى تلك القارّة.

أولا: نشأة الرّق

1. المفهوم

أ. لغة

إنّ للتّعريف الاصطلاحي دورا كبيرا في رفع الغموض واللّبس، لاسيما إن كان للّفظ عدّة معان، وكعادة كلّ بحث أكاديميّ لا بدّ من تحديد مفاهيمه اللّغويّة،

[1]– جمال زكريا قاسم، **مسألة الرّق في إفريقيا (بحوث ودراسات)**، مطبعة المنّظمة العربية للتّربية والثّقافة والعلوم، تونس، 1989، الطبعة الأولى، ص20.

والاصطلاحيّة، وسيكون البدء بمفردة الرّق باعتبارها الظّاهرة المهيمنة في الخطاب الإفريقي.

ترجع كل من الذّاكرة العربيّة والمعجم العربي أصل الرّق إلى الفعل "رقّ"، والذي نجده يرد في الكثير من المعاجم والقواميس العربيّة، ففي لسان العرب جاء الرّق بمعنى: «**الرقّ في اللّغة مشتق من لفظ الرقيق ونقول رق العبد وارقه واسترقه أي أدخله في الرق وسمي العبيد رقيقا لأنهم يرقون لمالكهم ويذلون ويخضعون له وقيل الرق الشيء الرقيق ويقال للأرض اللينة رق**»[1] فالرّق هنا ارتبط بالعبد والأرض على اختلاف المعنى، الأوّل دلّ على الخنوع والخضوع، أمّا الثاني فدلّ على اللّين والمرونة.

ويعرّفه الفيومي أحمد في معجمه المصباح المنير بأنّه «**رقّ الشيء من باب ضرب خلاف غلظ، فهو رقيق، والرّق بالفتح الجلد يكتب فيه، والرّق بالكسر العبودية وهو مصدر "رق" ويطلق الرق على الذكر و الأنثى وجمعه أرقاء**»[2]. لقد عُرف الرّق هنا باستخدام التّمييز بين الحركات، فالرّق بالفتح جلد يكتب عليه، بينما الرّق بالكسر يجسّد العبوديّة التي شملت الجنسين معا.

[1]– ابن منظور: **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، م3، دار المعارف، القاهرة، ص1707.

[2]– الفيومي أحمد بن محمد بن علي، **المصباح المنير**،ج1، بيروت، دار الفكر، (دط.دت)، ص235.

وقد جاء في المعجم الوسيط أنّ الرّق «**يعني الشيء الرقيق وجمع رقوق ويقال أيضا الرق والرقة والرقيق الدّقيق اللّطيف والمملوك كله أو بعضه**»[1].كما جاء في تاج العروس « **أصل الرّق، الخضوع والذل والعبودية ومنه الرقيق. وهو المملوك كلا أو بعضا** »[2].

ومن هنا نستنتج أنّ المعاجم والقواميس العربية اتّفقت في تعريفها لمصطلح الرّق على معنيين، تمثل الأول في الخضوع والخنوع والذّل، أما الثاني فقد تمثّل في العبوديّة التي تجسّد العمق الحقيقي لمفهوم الرّق.

ب. اصطلاحا

شغلت قضيّة الرّق حيّزا واسعا وحظيت باهتمام الكثير من الكتّاب، والمؤرّخين، والمتخصّصين في قضايا حقوق الإنسان، وبحكم طبيعة هذا المصطلح الواسع تعدّدت الميادين التي حاولت وضع مفهوم له، كلّ حسب توجّهاته النّقديّة، ومنه ما جاء في المواثيق، والاتفاقيات الدّوليّة، وغيرها من المصادر المختلفة، فقد تمّ تعريفه في الاّتفاقيّة الخاصّة بالرّق على أنّه «**حالة أو وضع أي شخص تمارس عليه السلطات الناجمة حق الملكية، كلها أو بعضها**»[3]. فالتّعريف القّانونيّ للرّق، يحيل إلى ممارسة سلطة ما حقّها الكامل على شخص بعينه.

[1]– المعجم الوسيط، **مجمع اللغة العربية**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2005، ط4، ص366.

[2] الزيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دراسة وتحقيق: علي شري، مج 13، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1998، ص 173.

[3]– ينظر؛ المادة الأولى من الاتفاقية الخاصة بالرّق الموقعة في جنيف يوم 25 سبتمبر 1929.

ومن النّاحيّة الأدبيّة فقد اهتمّ الكثير من النّقاد، والدّارسين الذين تناولوا مسألة العبوديّة بوضع مفهوم لها، "فجمال زكريا قاسم"، في كتابه الموسوم بمسألة الرّق في أفريقيا يعرفه على أنّه:« **الرق ظاهرة اجتماعية تقوم على استغلال إنسان قوي لإنسان ضعيف ففي الحضارات القديمة اعتبر نجاة الأسير تقدما عظيما فالعيش في أدنى مراتب الحياة أهون من القتل، ولقد انتشرت هذه الظاهرة وأصبحت مباحة في المجتمعات القديمة، فكانت تلك المجتمعات مقسّمة إلى أحرار وعبيد**».[1] فالرّق حسب "جمال زكريا قاسم"، هو الهيمنة، والتّسلّط، وإجبار الذّات الضّعيفة، وإخضاعها على القيام بممارسات تكون لصالح الفئة الأولى.

وعُرّف أيضا بأنّه «**هو تملك إنسان لإنسان آخر وممارسة حق الملكية عليه، وهو حق أنشأته القوة التي كانت ومازالت كل شيء كثرا من الحقوق، متحدية أحكام العقل والضمير. فقد كان الانسان إلى عهد قريب يباع ويسام في ظل نظام قانوني، أباح للقوة استرقاقه ومنحها حق التصرف فيه**».[2] فالقوّة أعطت شرعيّة مثل هذه الممارسات الدّنيئة في حقّ البشر، لتسلبهم من حقوقهم المعنويّة، بل وحتى الجسديّة. فلم يعد للعقل والضّمير دور فيها، بقدر ما كان الظّلم والجشع مسلّطا عليها.

ويرى أحمد منصور أنّ «**الرّق هو النّظام الذي يسمح لشخص ما أو جماعة من تقييد حرية فرد أو أفراد يطلق عليهم الرقيق، ويتم إجبارهم على ممارسة عمل أو تقديم**

[1] – جمال زكريا قاسم، **مسألة الرّق في إفريقيا(بحوث ودراسات)**،ص 20.

[2]– عبد السلام الترمانيني، **الرّق ماضيه وحاضره**، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت–عالم المعرفة–،1979، ص 13.

خدمات، ويعتبر الرقيق ملكا شرعيا لذلك الشخص يتصرف به كما يشاء ضمن حدود متعارف عليها ».[1] بمعنى إلزام القويّ على حكم الضّعيف، من حيث الاشتغال والخدّمة، وحرمانه من حرّيّته الطبيّعية وجعله ملكا لغيره.

فالرّق بمعناه الاصطلاحي، هو التّسلّط، والظّلم، وافتتاك لحرّيّة الفرد. هو إخضاع الآخر لمهام تكون ضدّ صلاحيّاته، وتجريده واستغلاله، وجعله أسيرا وخادما محتقرا تحت مبرّر القوّة.

2. أصول الرّق ومصادره.

إنّ البحث في الأصل هو جوهر الفهم، ولماّ كان للرّق امتدادات كثيرة عبر مختلف الحضارات والشعوب، وجب تحديد البدايات الأولى التي كانت نتاجا لهذا المصطلح، فلقد كان الرّق «**أبشع صور الإنسانية، لم يكن من صنع الإنسان المتوحش، وإنما كان من صنع الإنسان المتحضر.. فالجماعات البدائية التي كانت تعيش في العصر الحجري وتتغذى من الصيد والقنص وجني الثمار الطبيعية لم تعرف الرّق فقد كان يشيع فيها التّعاون والمساواة وتعمل مشتركة في تحصيل غذائها**»[2]. فالبدايات الأولى للرّق لم تكن مع الإنسان البدائي الذي عاش في الكهوف والغابات، وإنما كانت مع الإنسان المتحضر المعاصر.

[1] – أحمد منصور، استرقاق الأسرى وأثر ذلك في العلاقات بين دول المغرب وأوروبا خلال القرن **18**م، مجلة عصور، دار المريخ للنشر، لندن،(د،ط)، (د،ت)، ص56.

[2]– عبد السلام الترمانيني، **الرّق ماضيه وحاضره**، ص15.

في القديم كان الإنسان البدائي إذا نفد له الغذاء واشتد جوعه، اضطر أحيانا إلى قتل المستضعفين من الشيوخ والأطفال والمرضى من أجل إنقاص عبء ما يكلفه هؤلاء، ولما أخذ الإنسان في تأهيل بعض الحيوان وصنع الشباك «**توفر له الغذاء، فسلم من كان يقتل، وسلم معه العدو المأسور، وأخذت الجماعة تفيد منه في رعي ماشيتها أو في صنع شباكها، وحل استخدام الأسير محل قتله ومن هنا نشأ الرّق كظاهرة اجتماعية تقوم على استغلال إنسان قوي لإنسان ضعيف بدلا من قتله**»[1] فالحياة البدائية تمثل فيها الرق بظواهر اجتماعية تجسدت في الغذاء كمحفز للهيمنة.

ولما تطورت ظروف الحياة، وتماشى العصر مع المتطلبات الإنسانية «**نشأت المدينة فظهرت الملكية الفردية متمثلة بملكية الأسرة وأضحى العمل ضروريا لتنمية الملكية ... فلما تطورت حياة المدينة بعد اتساعها ونموها، فزادت الحاجة إلى العمل وإلى تنظيمه، ووجدت دولة المدينة في الأسرى الذين كانوا يقعون في قبضتها في أعقاب الحروب أداة طيعة للعمل، فكانت غالبا ما تكتفي بقتل الرؤساء والقواد وتسترق الآخرين، فمنهم من تستبقيه لمرافق المدينة فيكون رقيقا...ومنهم من تبيعه، وهكذا أضحى الرق في المدينة نظام قانونيا وأداة لتنمية رأس المال، وكانت الحروب، بادئ الأمر، عاملا على نشأته، ثم أضحى عاملا على شن الحروب**»[2]

[1]– عبد السلام الترمانيني، **الرّق ماضيه وحاضره**، ص 15،16.

[2]– ديوارنت، ول وايريل، **قصة الحضارة** –عصر لويس الرابع عشر– تاريخ الحضارة الأوروبية 1648–1715، تر: فؤاد أندراوس،ج1، م1، دار العلم للملايين، بيروت،1964، ص37.

أسس الإنسان المدينة واستقر بها، وبعد ما كانت الأسرة تنتج لنفسها فقط إلا أنّه مع تطور وتقدم المدينة واتساعها أصبح من الضروري أن تنتج لغيرها أيضا وبالتالي ازدادت الحاجة إلى العمل والعمال، فاعتمدت على من هم في قبضتها من الأسرى وسخرتهم فأصبحوا رقيقا مملوكا للدولة، يقومون ببناء المعابد وشق الطرقات والعمل في المقالع والمناجم، ومنهم من بيع لاستغلال قوته البدنية وهكذا أصبح الرق في المدينة نظام قانوني ووسيلة لتنمية وزيادة رأس المال، وأضحى عاملا لقيام الحروب بعد أن كانت هي السبب في نشأته.

ولقد ساهم هذا التطور في بلورة مفهوم الرّق في المدينة وبذلك «**انقسم المجتمع المدني إلى طبقتين: طبقة الأحرار المالكين وطبقة الأرقاء المملوكين...وانقسمت طبقة الأحرار إلى أقوياء يملكون وفقراء لا يملكون، واضطر الذين استحكم فيهم الفقر إلى بيع أنفسهم أو أولادهم فاسترقهم المشترون، ومثلهم المدينون ...فقد قضى قانون المدينة باسترقاق من يرتكب أفعالا من شانها أن تخل بنظامها الاجتماعي أو السياسي. وهكذا أضحت مصادر الرق في المدينة: الحرب والفقر والجريمة**»[1]. فبعد تأسيس المدينة وقيام نظام الرق فيها ونشوء رأس المال انقسم المجتمع إلى فئتين، فئة مالكة وفئة مملوكة، انقسمت الفئة المالكة هي بدورها كذلك إلى شريحتين من الناس، الأقوياء الذين يملكون المال والثروة وفقراء معدمون جياع، فاضطرت هذه الفئة الأخيرة إلى أن تبيع نفسها لسد رمقها أو بيع أبنائها لتخفيف عبء إعالتهم فأصبحوا رقيقا لدى مالكهم،

[1]– عبد السلام الترمانيني، الرّق ماضيه وحاضره، ص 16.

وكذلك هو الحال بالنسبة لمن عليهم ديون لم يستطيعوا أن يوفوها، و من كانوا يرتكبون الأعمال الشنيعة و الإجرامية التي تخل و تزعزع بالقانون الاجتماعي والسياسي.

إن الحاجات الإنسانية تتسارع وتتغير، وقد أثر هذا على المجتمعات وخاصة الفئات الاستغلالية، فتبلور بذلك مصدرا آخر للرّق تمثل في «**الرقيق المجلوب بالخطف أو الشراء، فقد تآلفت عصابات في البر والبحر، كانت تغير على القوافل أو المراكب التي تحمل المسافرين، أو تغير على جماعات أمنة فتأسر الرجال وتسبي النساء والأطفال وتسوقهم إلى مدن بعيدة يباعون فيها**»[1] بعد أن كانت مصادر الرّق تقتصر على أسرى الحروب والفقراء والمجرمين، إلاّ أنه مع زيادة الحاجة لهم نشأ مصدر آخر لا يقل عن ما سبق خطورة، سمي بالرّقيق المجلوب بالخطف أو الشراء تم جلبهم عن طريق الإغارة على القوافل و الجماعات الضعيفة.

لتأتي بعد ذلك القرصنة التي تفعل فعلها في تجسيد الرّق فلقد «**كان اليونان والفينيقيون أسبق الأمم في اتخاذ القرصنة وسيلة للحصول على الرقيق، ومنذ القرن الثاني قبل الميلاد كانت جزيرة (ليمنويس Lemnos) و(ديلوسDelos) في بحر ايجة، مستودعات للرقيق المخطوف**»[2] وإلى جانب ذلك نجد القرصنة البحرية والإغارة على المدن الساحلية وهو ما يذكره ابن خلدون في مقدمته «**وفي أفريقيا كان أهالي مالي والتكرور يغيرون على السودان الوثنيين ويبيعون من يقع في أيديهم رقيقا فيشتريه**

[1]– ديورانت ول وايريل، **قصة الحضارة**، ص 37 .

[2]– عبد السلام الترمانيني، **الرق ماضيه وحاضر**، ص 45.

التجار ويجلبونه إلى المغرب»[1] فقد كان ضحايا هذه الغارات جماعات ضعيفة لا تقوى على صد من يغير عليها، فتساق وتباع .

ثانيا: رحلة العبيد إلى العالم الجديد

1. اكتشاف أمريكا

إنّ اكتشاف أمريكا فتح الباب لإيجاد قارة جديدة، وعالم جديد، أدت لولادة حضارة وثقافة جديدة. بعد أن انطلق البرتغاليون في غزواتهم البحرية مطلع القرن الخامس عشر وتمكنهم من الوصول إلى العديد من دول إفريقيا، ولما سمع الإسبان أخبار نشاطاتهم وإنجازاتهم، الأمر الذي جعلهم يدخلون في سباق ضد الساعة لاستباق البرتغاليين، لاجتياز بعض الدول من أجل فرض هيمنتهم عالميا.

«**لم يكن الإسبانيون أقل رغبة من البرتغاليين في اكتشاف بلدان جديدة، وفي التعرف على طرق جديدة للتجارة**»[2] فالتّجارة كانت المحفز الأساس في هذا الاكتشاف الجديد، خاصة وأنها مطلب أولي للرزق.

كان لرحلة كولومبوس الأثر الكبير في هذه الاكتشافات الإستثنائية فمغامرته الفعلية تمثلت «**بعد انتهاء البلاط الإسباني من صراعه مع المسلمين وبمعاونة صديق من أحد رجال الدين المقربين من البلاط الملكي الإسباني، استطاع كولومبس أن يقنع**

[1]– عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق عبد الله محمد الدّرويش، بيروت، 1962، ص92.

[2]– محمد النيرب، **المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية**، الجزء الأول حتى 1877، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1977، ط1، ص20.

فردناند وإيزابيلا بأهمية مشروعه وذلك في أواخر أبريل 1492م»[1] فبكثير من العناد والإصرار تمكن الجنوي ذو الأصل اليهودي كريستوف كولومبس(1451-1506) من إقناع الأميرة إيزابيلا بجدوى مغامرته ورحلته، إلى جانب ذلك إقناع العرش الإسباني بأهمية وفائدة المشروع للكشف عن طريق جديد يقودهم إلى ثروات المحيط الأطلسي[2].

بعد موافقة العرش الإسباني لمطالب البحار كريستوف كولومبس وبمعاونة الملك الإسباني المادية « **قام كولومبس في أوائل أغسطس سنة 1492م في بعثة بحرية تتكون من ثلاث سفن هي سانتا ماريا، نينا، بنتا Santa Maria, Nina,Pinta**»[3] أبحر كريستوف كولومبوس على متن ثلاث سفن في مغامرته البحريّة الأولى لاكتشاف العالم الجديد «**وقد انطلقت رحلة كولومبس في الثالث آب من عام 1492م من مدينة بولس "Polos" بتمنيات ملكة اسبانيا، على رأس ثلاث سفن والصليب يرفرف على أشرعتها، باتجاه جزر البهاما**»[4]. انطلقت هذه الرحلة بأوامر وتمنيات الملكة إيزابيلا لتحقيق الأهداف المطروحة من وراء هذه الرحلة.

---

[1]- محمد النيرب، **المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية**، ص20.

[2]- انظر، عصمت راشد زينب، **تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر**-الجزء 2-دار الفكر العربي، مكتبة فلسطين للكتب المصورة، ص 46.

[3]- محمد النيرب، المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، ص20.

[4]- جورج ليقه، ورولان موسنييه، **موسوعة تاريخ أوروبا العام من القرن الرابع عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر**، ج2، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1995، ص 206.

وعليه أبحر كولومبوس **«عبر المحيط باتجاه الغرب، عازما على بلوغ شرق الجزر الهندية...باتجاه الغرب من دون أي أثر للجزر الهندية بعد، عندها بدأ رجاله يتململون، تحولت لهفتهم إلى يأس وأصبحوا راغبين في العودة...وأخيرا في 11 أكتوبر 1492، في الثانية صباحا، أطلق مدفع من أحد السفن معلنا "الأرض أمامنا"»**[1]

في الأسبوع الثاني من شهر أكتوبر عند غروب الشمس، رسا بسفنه على **«جزائر"وتلنج Watling" إحدى جزر "بهاما" ثم برحها إلى جزيرة "كيوبا" ثم جزيرة "هايتي"»**[2] رست سفن كولومبس ورجاله على هذه الجزر وكانت أول أقدام أوروبية تطأ هذه الأرض « **وقد اعتقد بأن هذه الأرض الجديدة إنّما هي أطراف لجزر الهند الشرقية، ولذلك فقد أطلق على سكانها الأصليين اسم الهنود "Indians"»**[3] وقد أطلق لفظ الهنود على السكان الأصليين لأمريكا بسبب جهل الأوربيّين الذين ظنّوا أنفسهم أنهم على أبواب آسيا.

امتلأ كولومبوس بالفخر والبهجة **«وأخيرا ها هي الجزر الهندية، هؤلاء الناس الودودين على الساحل لابدّ أنهم هنود...لم يكن كولومبس في أي مكان بالقرب من الهند، بل كان على جزيرة قريبة من أمريكا»**[4] بعد أن وصل المستكشفون إلى إحدى

[1] –إي إتش غومبريتش، مختصر تاريخ العالم، ص224.

[2]– محمد حمدي علي، الاكتشافات الجغرافية، ص 21.

[3]– محمد النيرب، المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية،ص20.

[4]– إي إتش غومبريتش، مختصر تاريخ العالم، ص 224.

جزر الباهاما شعر كولومبس بالفخر والسعادة ونزل يحمل علم بلده إسبانيا معلنا استيلاءه على الأرض الجديدة المكتشفة باسم الحكم الإسباني.

وفي 1493م رجع إلى إسبانيا «**إلى بالوس التي غادرها منذ ثمانية شهور**»[1]. استقبله الملك أحسن استقبال وقوبل كمقابلة الأبطال، إذ كان قد عاد مصطحبا معه البعض من الهنود الحمر كدليل لوصوله لتلك الأراضي، والكثير من الهدايا وسبائك الذهب «**والجواهر و بعض الببغاوات من كوبا...إلاّ انه كان يحمل الأمل في الاستيلاء على مستعمرة كبيرة**»[2] ثم قام بعدها بثلاث رحلات أخرى إلى المنطقة دون أن يعرف أنّه وصل إلى عالم جديد.

ثم قام كولومبس برحلته الثانية لاحتلال الأراضي الجديدة «**لما رأى الملك أنّ مشروع خرستوف كولمب كلّل بالنّجاح جهزّ له أسطولا قويا وزوّده بالمال والرّجال فسافر كولمب واكتشف في طريقه جزائر (دومينكاDominica)...ثم طاف حول جزيرة (كيوبا)واكتشف جزيرة جميكا**»[3] أقلع كولومبس مرة ثانية نحو الممتلكات الجديدة وبعد إلى أن وصل لجزر الأنتيل وهبط في جزيرة دومينكا ثم واصل البحث غربا ليكشف جزيرة جميكا «**وعاد مرة أخرى إلى إسبانيا عام 1496 حيث استقبله**

[1]– عيسى علي ابراهيم، **الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية**، دار المعرفة الجامعية، (د،ط)، (د،ت)، ص278.

[2]– جلال يحي، **التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر** "الفجر"،ج1، (د،ط)، (د،ت)، المكتب الجامعي الحديث، شارع سوتير أمام سيراميكا كليوباترا، ص336.

[3]– محمد حمدي علي، **الاكتشافات الجغرافية**، ص22–23.

فرديناند وايزابيلا وقدم لهم أخبار جديدة في هذه الرحلة وأقنعهم أنّ الصين أصبحت في متناول كشوفه»[1]

بعد رحلته الثانية قام برحلته الثالثة، لإكمال اكتشاف ما بقي من تلك الأراضي الجديدة «**فاكتشف جزيرة (جرينادا Grenada) و(تباجوTobago) و(ترينيداد Trinidad) وفي أثناء تلك السياحة شاهد شاطئ أمريكا الجنوبية لأول مرة واكتشف مصب نهر أورينوكو**» في الرحلة الثالثة التي قام بها كولومبس لاكتشاف بقية المنطقة الجديدة، توصل إلى اكتشاف "جرينادا" ثم بعد بضعة أيام وطأت أقدامه ولأول مرة أمريكا الجنوبية بالتحديد عند نهر الأورينوكو.

ثم قام برحلتة الرابعة وذلك في سنة 1502م «**في هذه الرحلة زار أمريكا الوسطى من (بنما Panama) إلى (هندوراس Honduras) وقد كافأه الإسبان على تعبه واكتشافه وجازوه**»[2] بعد رحلة كولومبس الرابعة والتي اكتشف من خلالها مناطق أخرى لأمريكا، قامت الإمبراطورية الإسبانية بمكافأته لتحقيقه هذا الاكتشاف.

لتكون النهاية أن «**مات فقيرا مدقعا في 20 مايو سنة 1506 بمدينة (فلادوليد Valladolid) ومات بعد أن اكتشف طريقا غربيا لجزائر الهند ولم يعرف أنه اكتشف**

[1] –عيسى علي ابراهيم، **الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية**، ص283.

[2] – محمد حمدي علي، **الاكتشافات الجغرافية**، ص22

عالما جديدا»[1]عاد كولومبس مرة أخرى إلى إسبانيا، وتوفي بعد عامين وكان ذلك في عام 1506م، وحتى بعد وفاته كان يعتقد أنّ الأرض التي اكتشفها هي الهند.

2. رحلة الزّنوج إلى العالم الجديد

نشأ نظام جديد في أوروبا، يقوم على النّظام الإقطاعي، وذلك بعد زوال الحكم الرّوماني فيها سنة 476م، وتواصل عمل الرّقيق في زراعة الأرض «**ومن القرن العاشر أخذت تتوالى عوامل أدت إلى زوال الرّق...ويذكر المؤرخون من هذه العوامل رغبة الملوك في إضعاف نفوذ الإقطاعيين...ومنها المجاعات والأوبئة التي اجتاحت أوروبا بين القرنين العاشر والثاني عشر**»[2] منذ بداية القرن العاشر، وحتى القرن الخامس عشر بدأت تظهر بعض العوامل، والمؤثرات المؤدّية لزوال نظام الرّق في أوروبا، والتي نذكر منها "إضعاف نفوذ الإقطاعيين " وذلك من خلال الدّعوة إلى تحرير بعض الأرقاء، ممّا جعل بعض الإقطاعيين يحذون حذوه، ويقومون هم كذلك بتحرير عبيدهم. نجد كذلك عامل الحروب، التي اجتاحت أوروبا مع القرن الثّاني عشر، فتمّ تحرير الرّقيق، من أجل تهيئتهم لخوض تلك الحروب، بالإضافة إلى المجاعات، والأوبئة التي أدت إلى تناقص في عدد الأرّقاء، غير أنّ العامل الأساسي في زوال الرّق «**تحول نظام الرّق القديم إلى نظام جديد، عرف باسم نظام رق الأرض(Servage). فقد أدى قلة الرّقيق إلى احتفاظ الأسر الإقطاعية بما تبقى لديها**

[1]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2]– عبد السلام الترمانيني، **الرق ماضيه وحاضره**، ص137.

من الرّقيق...ومن أجل أن يزيدوا نشاطهم في العمل، فقط منحوهم قطع صغيرة من أراضيهم يزرعونها ويمتلكون محصولها، على أن لا يحق للسيد انتزاعها منهم، فأقاموا بذلك رابطة بين الرقيق وبين الأرض التي يعمل فيها...غير أنه ما اكتسب من شخصية انسانية وقانونية كان محدودا»[1]

ولعلّ أهم عامل أدى إلى زوال الرّق في أوروبا، هو ما عرف بنظام "رق الأرض"، فقد أدت بعض العوامل لقلة الرقيق، مما جعل الإقطاعيين يلجؤون إلى منح بعض القطع الزراعية للرقيق، من أجل العمل على تكاثرهم، وتزايدهم، فكانوا يأكلون ما يزرعون، كما أصبح لهم الحق في إقامة المنازل في تلك الأراضي الممنوحة لهم، وأصبح لهم الحق في الزواج، إلا أنهم ظلوا خاضعين لصاحب الأرض، مطيعين لأوامره، ومنفذين لها؛ فقد كانوا ملزميّن بزراعة الأرض خاصته، واستصلاحها، والحفر، والقطف، ولذلك أطلق عليهم لفظ "رقيق الأرض".

بعد زوال رقّ الأرض في أوروبا «أضحت الحاجة إلى اليد العاملة ملحّة...ووجد الأوربيون في إفريقيا السوداء مصدرا خصبا للحصول على اليد العاملة» في القرن السادس عشر، ومع زوال رقّ الأرض في أوروبا، وافتقار الأرض لرقيقها، أصبح هناك احتياج إلى أيادي عاملة تعمل في الزّراعة، وتساعد في التّجارة، والصّناعة.

بعدها أخذوا «**يقيمون في القرن السادس عشر، مراكز تجارية لهم على سواحلها...وكان الإسبان والبرتغاليين أول من أقام هذه المراكز، وفي تلك المراكز**

[1]– عبد السلام الترمانيني، الرّق ماضيه وحاضره، ص137.

كانوا يبيعون الإفريقيين بضائعهم ...ومن تلك الأسواق كان يساق إلى المزارع والمدن لتوفير اليد العاملة في زراعة الأرض»[1]

وبعدما «**تنبهت انكلترا وهولندا وفرنسا والدنمارك، في مطلع القرن السابع عشر، إلى إقامة مراكز تجارية لها على السواحل الإفريقية، لمنافسة الإسبان والبرتغاليين في الحصول على الزنوج وحملهم إلى مستعمراتهم في العالم الجديد...وكان كل مركز من المراكز التجارية ينقل صيده من الزنوج إلى موانئ بلاده، ولم تلبث أن أضحت مرسيليا ونانت وبريستول وليفربول، بالإضافة إلى إشبيلية ولشبونة، مستودعات لتجميع الرقيق الأفريقي، استعدادا لنقله إلى المستعمرات الأمريكية**»[2] بعد تنبه الكثير من الدول الأوروبية لقدرة الزّنوج الهائلة على العمل، أصبحت تنافس كل من البرتغال وإسبانيا، على جلب هذه الفئة إلى مستعمراتها.

لتبدأ بذلك رحلة الزّنوج، حيث «**حدث في اليوم الثالث من شهر أغسطس عام 1619 أن حملت سفينة هولندية أول شحنة من الزّنوج إلى أمريكا، وكان عددهم عشرين زنجيا، ورست بحمولتها في ميناء(جيمس تاون Jamestown) بولاية فرجينيا**»[3] في عام 1619م قدمت أول سفينة تحمل عددا من العبيد الأفارقة، حيث كان عددهم عشرين عبدا إلى ولاية فرجينيا الأمريكية.

---

[1]– صباح كريم رياح الفتلاوي، لمحات من مشكلة الرّق في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية حتى العام **1863**، مجلة البصرة، 2015، ص 87.

[2]– عبد السلام الترمانيني، **الرّق ماضيه وحاضره**، ص142–143.

[3]– Fohlen, Les Noirs aux Etats-unis, Paris1965, p 04.

ولم تستقرّ الأوضاع على ما هي « **فقد تمّ في سنة 1626م من خلال الشركة الروانية احتكار تجارة العبيد على طول الساحل الإفريقي ...وأنشأ "كولبير" في سنة 1664م شركة بلاد الهند الغربية واحتكر تجارة العبيد لمدة أربعين سنة، وذلك من الرأس الأخضر حتى رأس الرجاء الصالح بالإضافة إلى جزر الأنتيل**»[1]

لتُضاف بعد ذلك معاملات أخرى حيث «**أطلق البرلمان البريطاني في 1697م حرية التجارة لجميع أفراد المملكة، وهذا ما أدى إلى ارتفاع تجارة الرّق، فالشّركة الملكية خلال تسعة سنوات (1680–1689) قامت بإرسال 259 سفينة محملة ب:46396 عبدا بينما استطاع التّجّار الخواص خلال سنتين(1698–1700) من شحن 42 ألف من العبيد نحو جامايكا**»[2] في 1697م اتخذت تجارة العبيد صفو المؤسسة، حيث أصبح العبيد يباعون ويشترون وفق قوانين دولية.

كما كانت الأساطيل البحريّة أداة من أدوات تجارة الرّقيق الإفريقي «**وكانت مزوّدة بتجهيزات خاصة من القيود والسّلاسل والمسامير والجسور لإخضاع شحنات العبيد، وتكديسها في أضيق مساحة ممكنة على متن السفينة**»[3]

ومن ثم جاءت الإخضاعات، والتّحقير، والمعاملات السّيّئة في حق الزّنوج، فلقد كانت «**الولايات المتحدة الأمريكية تأتي السفن المحملة بالكحول، وما أن تفرغ حمولتها**

[1] –A.Raffenel,Nouveau Voyage dans Le Pays des Négres, Suivi d'études Sur La Colonie du Sénégal et de Documents Historiques, Géographiques et Scientifiques, Op, cit , p37.

[2] –A.Raffenel,Nouveau Voyage dans Le Pays des Négres, Suivi d'études Sur La Colonie du Sénégal et de Documents Historiques, Géographiques et Scientifiques, Op, cit , p39.

[3]–F.B.Sigismond, La Cause des Esclaves Négres et des Habitants de la Guinée,Op.cit, p254.

حتى تعبأ عنابرها بالأرقاء المساكين، وكان الطعام والماء الذي يقدم لهم من خلال شق ضيق لا يتسع لمرور الإنسان...وبعد وصول سفن تجار الرقيق إلى أمريكا كان الزنوج يباعون في شتى أنحاء البلاد عبر شبكة من التجارة المتنوعة، حيث كان سعر الزنجي الواحد يصل إلى الألفي دولار، ولم يأتي منتصف القرن الثامن عشر إلاّ وكان 16بالمئة من سكان الولايات الشرقية الأمريكية عبيدا –زنوجا»[1] كانت عملية نقل الزنوج مأساوية جدا؛ حيث كان يتم حشرهم في أقبية السفن كالماشية، ومن ثم يباعون في أسواق النخاسة.

وبعد ذلك «**أُقيمت على الأراضي الإفريقية محطات لمندوبي تجار الرقيق لم تكن لتتورع عن استخدام شتى الأساليب (العنف–السكر–الخداع) للقبض على الزنوج وتكبيلهم بالسلاسل والأغلال**»[2]. وهكذا كثُر عدد العبيد من الزنوج خاصّة في تلك المناطق.

وتواصلت هذه العملية خلال السنوات كلّها، حيث «**خلال سنة 1786م كان الإنجليز يشحنون 42 ألف عبد، ويعتبر ميناء ليفربول أكبر ميناء إنجليزي مارس تجارة الرّق في سنة 1753م، حيث تجاوز عدد الرّقيق الذين نقلوا إلى الأمريكيّتين عبر السفن من ميناء ليفربول 30ألف عبد وفي سنة 1786م تم شحن حوالي**

[1]– أبي جندل الأزدي، الله أكبر خربت أمريكا، مركز الدراسات والبحوث الاسلامية، (د،ط)،(د،س) ص22.

[2]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

739.264 عبد من غينيا وتم تحويلهم عبر ميناء ليفربول»[1] مثّل مناء ليفربول أكبر مناء تم من خلاله بيع واستراد ونقل الزنوج والذي يقدر عددهم بالآلاف

مرت تجارة الرّقيق من إفريقيا على الأمريكيتيّن بثلاث مراحل أساسية «**تُعتبر أولى المراحل في تجارة الرّق تلك التي مارسها البحارة المغامرون والقراصنة القادمون من أوروبا، فقد أخذوا على عاتقهم نقل هؤلاء العبيد الأفارقة دون موافقة أو تدخل من حكومة بلدانهم وبهذه الصيغة بدأت تجارة الرّق منذ القرن 15م**»[2] كان نقل الرّقيق في بداية الأمر غير خاضع لأي قوانين، وإنما كان يمارس من طرف القراصنة والبحارة الوافدين من أوروبا.

أمّا المرحلة الثّانية بدأت « في سنة 1580م **وبعد ظهور مؤسسات وجمعيات تحتكر هذه التجارة وكانت هذه المرحلة من التجارة شبه قانونية غير رسمية لتصبح فيما بعد معترفا بها من طرف الحكومات، ويقوم بها تجار أثرياء من بلدان أوروبا، فقد تعاظم حجم العبيد المقبوض عليهم والمساقون بشكل رهيب من طرف الشركات الأوروبية**»[3] أصبحت تجارة الرقيق في المرحلة الثانية تتخذ طابعا قانونيا نوعا ما مما أدى إلى تعاظم عدد الرّقيق المجلوب من قبل الشركات.

[1]–F.B.Sigismond, La cause des Esclaves Négres et des Habitants de la Guinée, p204.205

[2]–E.Sik,Historie de l'Afrique Noire, Op.cit ,p 114.

[3]J-K.Ingram, A History of Slavery and Serfdam, éd.Adam et Charles Black, London,1895, p176.

بينما المرحلة الثّالثة «في القرن17م، **انخفضت نوعا ما تجارة الرّق منذ 1689م تمّ السماح بحرية تجارة الرّق في جميع أراضي القارة وقد تقلّص حجم الشركات، والمؤسسات التي كانت تشرف على هذه التجارة في بداية القرن 18م**»[1] شهدت المرحلة الثالثة لنقل الزنوج تناقصا ملحوظ بعد أن تم السماح بحرية تجارة الرّق.

ومن هنا نقول أنّ معاناة الزّنوج كانت نتيجة مراحل كثيرة، ابتدأت بالرحلات، ثم التجارة، ثم العمل الذي يخضع للذل، ليتجسد مفهوم العبودية الحقّة التي تبلورت مع هؤلاء العبيد الأرقاء.

[1]A.S, History of Nigeria, London, 1962,p 68.

المبحث الثّاني: خطاب الأفريقانية ومقاومة أنساق العبودية

من خلال هذا المبحث المخصّص لتناول خطاب الأفريقانية، باعتبارها مجالا من مجالات المقاومة، والنضال ضدّ كلّ أشكال العبودية في الولايات المتّحدة الأمريكية، وبما أنّ بحثنا يتناول الأدبَ الأمريكي، والأنساق التي تحملها النّصوص الأدبية، فقد ارتأينا أن نتطرق إلى عرض مفهوم النّسق.

أولا: مفهوم النّسق الثّقافي

إنّ عملية ضبط المفاهيم، والمصطلحات في الكتابات، والبحوث الأكاديمية، والعلمية، لها أهمية بالغة؛ لما يعتري تلك المصطلحات من غموض يجب توضيحه وبيانه، من أجل الوصول إلى المعرفة المنشودة كاملة، وغير منقوصة. ولتسهيل عملية ضبط المصطلحات، كان لزاما علينا أن نقف عند أهم مصطلحات الدراسة، وبيانها وأهمّها مفهوم النّسق.

أ- لغة:

يعدّ مصطلح النّسق، من أهمّ المصطلحات في حقل الدراسات النقدية الحديثة، وبالعودة إلى معجم لسان العرب لابن منظور، فإنّنا نجده يعرّف النّسق على أنّه «**النّسق من كلّ شيء ما كان على طريقة نظام واحد، عام في الأشياء، وقد نسّقته تنسيقا، وقد اتّسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض، أي تنسّقت**»[1]. فالنّسق من منظور لسان العرب

[1]- ابن منظور، **معجم لسان العرب**، دار صادر، ط1، مج5، مادة نسق، بيروت، لبنان، 1917، ص4412.

يقابله معنى البنية، أو النظام بالمفهوم الحديث، وهو ما طرحه العالم اللغوي الألسني فرناند دي سوسير[1]

كما ورد في قاموس المحيط بما يتعلّق بمفهوم النّسق « **نسقُ الكلام، عطف بعضه على بعض والنّسق محركة ما جاء من الكلام على نظام واحد، و من الثّغور المستوية، ومن الخرز المنظمة، وأنسق تكلم سجعا، والتّنسيق التّنظيم**»[2].

ومن هنا نستنتج أنّ النّسق في اللّغة يحيل على الانتظام والاتّساق، والتّوالي والتّتابع، والتّرابط، أي ما كان على نظام واحد.

ب- **اصطلاحا**

يُعدّ النّسق الرّكيزة الأساسيّة في كلّ تحليل ثقافي للنّصوص الأدبية، وقد ارتبط مفهومه في بداياته بالبحث اللّساني، إذ أورده دو سوسير في كتابه "محاضرات في اللّسانيات العامة"، في سياق حديثه عن اللّسان، واعتباره "نسقا" تكتسب عناصره قّيمتها، من خلال انتظامها في علاقات فيما بينها[3] .

كما يعرف النّاقد المغربي "محمد مفتاح"، بناء على مفهومه المعاصر النّسق، على أنّه «**مجموعة من العناصر أو الأجزاء التي يرتبط بعضها ببعض، مع وجود**

[1]- ينظر، عبد الله الغذامي، **النقد الثقافي**، ط1، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، 2000، ص76.

[2]-مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، **قاموس المحيط**، مؤسّسة الرسالة، ط8، ج3، بيروت، لبنان، مادة نسق، 2005، ص285.

[3]- أحمد زعزاع ومجموعة من الأكاديميين، **العين الثالثة (تطبيقات في النقد الثقافي وما بعد الكولونيالي)**، إعداد: حياة أم السعد، دار ميم للنشر، ط1، الجزائر، 2018، ص102.

مميز أو مميزات بين كل عنصر وآخر»[1]. أي أنّ ما يُميّز النّسق أنّه كيان مكوّن من مجموعة من العناصر المترابطة، والمشتركة في تقديم دلالة موحّدة.

ومن جهة أخرى يرى المغربي الآخر "عبد الفتاح كيليطو" أنّ النّسق هو «**كلّ مواضعة اجتماعية دينية أخلاقية جمالية..تفرضها في لحظة معينة من تطورها الوضعيّة الاجتماعيّة، الّتي يقبلها ضمنيّا المؤلف وجمهوره**».[2] فالنّسق هنا خاضع لمجموع القيم الدينيّة والأخلاقيّة والجماليّة، فهو يسعى لرصد هذه القيم بأبعادها المتعدّدة السياسيّة والاجتماعيّة والأيديولوجيّة، التي تتستّر وراء القيّم الجماليّة للنّصوص التي تفرض نفسها على الملقي والمتلقّي.

أمّا فيما يتعلّق بوظيفة النّسق فيمكن القول أنّه «**يتحدّد عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد والوظيفة النّسقية لا تحدث إلاّ في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضا وناسخا للظاهر**».[3] فالنّسق الثقافي حسب النّاقد والأكاديمي السعودي "عبد الله الغذامي"، لا يمكن تحديده إلاّ من خلال وظيفته التي يؤديها والتي تقتضي وجود نسقين متعارضين، ومنه يمكننا تحديد الوظيفة النّسقية حسب الغذامي في ما يلي؛

[1]–محمد مفتاح، **التشابه والاختلاف**، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب/ بيروت، 1996، ص158.

[2]–أحمد زعزاع ومجموعة من الأكادميين، **العين الثالثة (تطبيقات في النقد الثقافي وما بعد الكولونيالي)**، ص103.

[3]–عبد الله الغذامي، **النقد الثقافي**، ص77.

- وجود نسقين يحدثان معا وفي آن واحد، في نص واحد أو في ما هو بحكم النص الواحد.
- يكون المضمر منها نقيضا ومضادا للعلني.
- لابد أن يكون النص جميلا ويستهلك بوصفه جميلا، بوصف الجمالية هي أخطر حيل الثقافة لتمرير أنساقها وإدامتها.
- ولا بد أن يكون النص جماهيريا ويحظى بمقروئية عريضة[1].

أي أنّه كلما كان النص جماليا وحضي بشعبية ومقروئية واسعة، فهو يضمرّ تحت طياته نسقا ثقافيا لابدّ من البحث عنه وكشفه.

كما ترى الدّكتورة "**ضياء الكعبي**" أنّه يمكننا تعريف الأنساق الثّقافية على أنّها «**نُظُمٌ بعضها كامن وبعضها ظاهر في أي ثقافة من الثّقافات...وهذه النّظم ذات صلة وثيقة بإنتاج الخطاب الإبداعي والفكري وطرائق تلقيه، والأنساق الثّقافية لا تقتصر على الأدب الرسمي أو المعتمد في ثقافة ما وإنما تتجاوز ذلك إلى الأدب غير الرّسمي**»[2]. فوجود نسقان أحدهما ظاهر، والآخر خفي هو ما يسهم في تشكيل النّص الإبداعي، وهذه الأنساق لا توجد في النّصوص، والخطابات الرّسمية فقط، وإنمّا تتعداها لتكون أيضا ضمن الخطابات غير الرّسمية «**وقد يكون ذلك في الأغاني أو**

[1]– عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، ص77–78.

[2]–ضياء الدين الكعبي، **السرد العربي القديم: الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان، ص22،23.

الأزياء أو في الحكايات والأمثال مثلما هو في الأشعار والإشاعات والنكت»[1]؛ فالنّسق مرتبط بكلّ السّمات والسلوكات الاجتماعيّة، والأدب منتوج اجتماعي يتضمّن خصوصيات الأشكال والسّلوكيات الاجتماعيّة المختلفة.

2- **المضمرة**

والنّسق لا يكون إلاّ مضمرا، ومصطلح المضمر حسب ما جاء في لسان العرب هو «**من الجذر اللّغوي ضمر "تضمّر وجهه: انضمت جلداته من الهزال، والضمير السر وداخل الخاطر، والضمير الشيء الذي تضمره في قلبك، تقول: أضمرت صرف الحرف إذا كان متحركا فأسكنته، وأضمرت في نفسي شيئا، والاسم الضمير، والجمع ضمائر، والمضمر: الموضع والمفعول**».[2]

وقد جاء في معجم مقاييس اللّغة لابن فارس «**ضمر، الضاد والميم والرّاء أصلان صحيحان: أحدهما يدلّ على دقة في الشيء، والآخر يدلّ على غيبة وتستّر... ومن هذا الباب، أضمرت في ضميري شيئا، لأنه يغيبه في قلبه وصدره**»[3] فالمضمر في المعنى اللّغوي يحمل دلالة التّخفّي، والتّستّر، وعدم الظهور.

[1]–عبد الله الغذامي، **النقد الثقافي**، ص80.

[2]–ابن منظور، **لسان العرب**، باب الضاد، ص 2606.

[3]– أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج3، بيروت، لبنان، 1979، ص371.

3-الأنساق المضمرة:

والأنساق المضمرة هي «**مجموعة من الترسبات تتكون عبر البيئة الثقافية والحضارية وتتقن الاختفاء تحت عباءة النصوص المختلفة، تمارس على الأفراد سلطة من نوع خاص وهي حاضرة في فلتات الألسن والأقلام بصورة آلية، وينجذب نحوها المتلقون دونما شعور منهم، لأنها أصبحت تشكل جزءا هاما من بنيتهم الذهنية والثّقافية**»[1] فهي مجموعة العناصر التي تنتجها بيئة بذاتها، والّتي تختبئ، وتستّتر تحت غطاء الجماليّة، ولديها السّلطة على الأفراد، كما لديها القدرّة على جذبهم. وقد تحدث عنها عبد الله الغذامي قائلا« **كلّ دلالة نسقية مختبئة تحت غطاء الجمالي ومتوسلة بهذا الغطاء لتغرس ما هو غير جمالي في الثّقافة**»[2]. فالنّصوص الأدبية لا تحمل قيما جمالية فحسب، وإنما قيما أخرى مضمرة تتمثّل في الأنساق .

[1]-اسماعيل خلباص حمادي، وإحسان ناصر، **النقد الثقافي مفهومه، منهجه إجراءاته**، مجلة كلية التربية جامعة واسط، العدد13، العراق، 2013، ص11.

[2] -عبد الله الغذامي، عبد النبي أصطيف، **نقد ثقافي أم نقد أدبي**، دار الفكر، دمشق، سوريا، بيروت، ط1، ص33.

ثانيا: المركزيّة الغربيّة؛ مفهومها وأبعادها الثّقافية

1. المفهوم

انطلق الغرب في تفكيره من مركزيّة تفّوق الرّجل الأبيض، الأوروبي، منذ عهود قديمة، ونشطت هذه الفكرة أكثر في عصر النهضة، واستمرت ترافق الغرب، وتقنع الشعوب المغلوبة بها، والتي تطرق إليها الكثير من الفلاسفة، والمفكريّن، حيث نجد الفيلسوف الألماني هيجل قد تطرق إلى نظرية التّمركز العرقي، وجعل الجنس الأبيض في أرفع المواقع، بينما أنزل الآخر إلى الحضيض.

وبما أنّ موضوع بحثنا يتلخص في دراسة أدب السّود في أمريكا، فكان لزاما علينا التطرق إلى مفهوم المركزيّة الغربيّة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة «**فصورة الأمريكيّين الأصليّين في وثائق الفتح الإسباني، سواء كانت سجلّات أو رسائل أو مذكرات أو مدونات تاريخية أو ملاحظات رحالة أو مستكشفين أو مبشرين، إنّما ينطبق عليها عموما وصف واحد. لقد ركّبت صورة "هشة" لأقوام بدائية ساكنة جاء "الفتح" فأدخلها في مسار التّاريخ**»[1]. وهكذا تمّ الفصل بين الشعوب.

أ- الغرب:

من أجل معرفة مفهوم المركزيّة الغربيّة ومصادر تكوّنها، ومراحل تشكلها لابدّ من الوقوف عند مصطلح الغرب «**فالغرب قبل كل شيء كيان جغرافي، ومن اللافت**

[1]- عبد الله إبراهيم، المركزية الغربيّة: إشكالية التكوّن والتمركز حول الذّات، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997، ص241.

للنظر أن هذه اللفظة لا تدل على موقع أو مكان بعينه، بل على جهة، وهذا الموضع، حيث تغرب الشّمس، يتبدّل معها حيث أنّنا نعلم أنّ الأرض تدور. وبطبيعة الحال، لاوجود للغرب، ولا للشمال، ولا للجنوب، ولا للشرق. غير أنه في منطقة ما يغدو الشرق الأقصى الغرب المجاور، فالولايات المتحدة الشرقية تقع غرب المغرب (ومعناه الأصلي الغرب) وتقع اليابان غرب ساحل كاليفورنيا...»[1] فالغرب جغرافيا لا يعني موقعا بحد ذاته، بقدر ما هو جهة تتحدّد بدوران الأرض، وغروب الشّمس وشروقها.

وقبل التّفصيل في فكرة المركزيّة الأمريكيّة، سنتطرق لمفهوم المركزيّة الغربيّة في أرضيتها الأوّلى في –أوروبا–حيث أنّ «**الغرب ينبغي النظر إليه ضمن كيان جغرافي: أوروبا، وضمن ديانة: المسيحية، وضمن فلسفة: التنوير، وضمن عرق: العرق الأبيض، وضمن نظام اقتصادي: الرأسمالية**»[2] فمقوّمات المركزيّة الغربية تقوم على الدين، واللّغة والعرق والنّظام الرأسمالي.

أمّا بالنسبة للجغرافيا السّياسيّة المعاصرة، فـــ"سيرج لاتوش" في تحديده لمصطلح الغرب، نظر له على أنّه كل ما تعلق بأوروبا دينيا، واقتصاديا، وعرقيا، ليتوسع مفهومه أكثر ليضم النصف الشمالي من الكرة الأرضية[3] .

---

[1]– سيرج لاتوش، **تغريب العالم: بحث حول دلالة ومغزى وحدود تنميط العالم**، تر: خليل كلفت، دار العالم الثالث، القاهرة، ص32.

[2]– سيرج لاتوش، **تغريب العالم**، ص31

[3]– يُنظر؛ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

لكنّ المقصود بالغرب كمصطلح يتجاوز الدلالة الجغرافية البسيطة «**وذلك عندما تشارك في المعادلة دلالات سياسية وثقافية أو خطابات أيديولوجية، وتريد أن تضفي على المصطلح الجغرافي قيمة معينة**» [1]. فالدلالة الجغرافية لمصطلح الغرب لا تحدد لنا تعريفا شاملا له، إلاّ إذا ربطناها بما هو سياسي، وثقافي وما طرح من خطابات إيديولوجية، فالغرب جغرافيا يطلق على أوروبا، أما من الناحيّة السياسيّة فيشمل عدة قارات أمريكا وآسيا، وكذلك أوروبا.

كما يجدر بنا أن نُشير إلى أنّه يتعذّر على وجه الدقة «**تحديد اللّحظة التي ولد فيها مفهومان متلازمان هما: "أوروبا" و "الغرب". والواقع أنهما من تمخّضات تلك الحقبة الطويلة والمتقلبة التي يصطلح عليها "العصر الوسيط "...اندمجت لتشكل هوية أوروبا، وبإنهاء تلك الحقبة، ظهر إلى العيان مفهوم "الغرب" بأبعاده الدلالية الأولية، وسرعان ما ركّب من المفهومين المذكورين مفهوم جديد هو "أوروبا الغربية"**»[2]. فارتباط مصطلح الغرب بأوروبا، كان وليد التراكمات التي أنتجتها حقبة العصور الوسطى، مشكّلة ما أطلق عليه مفهوم أوروبا الغربية .

إلى ذلك تقصد ذلك المفهوم، أن يمارس إقصاءً لكلّ ما هو ليس غربيا، دافعا به إلى خارج الفلك التاريخي الذي أصبح "الغرب" مركزه [3].

---

[1]– أنور محمد فرج أحمد، المركزية الغربية من التمركز حول الذات إلى الهيمنة على الآخر،ص10.

[2]–عبد الله ابراهيم، المركزية الغربية، ص 11

[3]– انظر، المرجع نفسه، ص12،11.

ب- المركز

بعد أن عرّجنا على مفهوم الغرب، يمكن تحديد مصطلح المركز، ففي المعجم الوسيط عرف على أنّه «**المركز من الفعل ركز، والمركز هو المقر الثابت الذي تتشعب منه الفروع والمركزي هو المنسوب إلى المركز ومصرف مركزي أي ترجع إليه المصارف الأخرى**»[1]. ومنه المركزية في اللغة هي «**تأنيث لكلمة مركز، والمركز هو وسط الشيء، والذي إليه يعاد ويرجع**»[2] فالمركز في المعنى اللغوي يحيل على المنبع وأصل الشيء.

ومن جهة أخرى فإنّ هذا المفهوم له دلالات تُحيل دوما على الفصل بين الشعوب، حيث «**استمدّ مفهوم التمركز، مكوناته من الدلالة المباشرة لـــ Egocentricity التي تفترض غلبة وجهة نظر الذات وصوابها، وهي متصلة بعالم الطفولة، إذ تتجلى الأنانية المفرطة التي توافق مرحلة من نمو الطفل، تجعله يركز العالم في أناه، لأن وجدانه لا يتفتح على الآخرين إلاّ بقدر ما يكون هؤلاء مجموعة من العناصر في أفقه الذاتي، فيصعب عليه أن يفهم الأشياء من منظاره الخاص ولا يعطي أي اعتبار للآخرين واهتماماتهم، الأمر الذي يؤدي إلى أن يختلط لديه الموضوع**

[1]– مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط** ، باب الراء مادة (ركز)، ص10.

[2]–عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد الغامدي، **المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الانسان**، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المملكة العربية السعودية، جدة، 2014، ط1، ص27.

بالذات»[1] فالمركزيّة بمفهومها الاصطلاحي، تشير إلى التّمركز حول الذات، والهيمنة على الآخر، وإلغائه.

ومن خلال التّعريفان السابقان نخلص إلى أنّ المركزيّة الغربيّة هي «**الممارسات الواعية أو غير الواعية، التي تركز على فرض الحضارة والمصالح الغربية عموما في جميع مجالات الحياة على حساب باقي الثقافات والحضارات والشعوب، وبكل الوسائل المشروعة و غير المشروعة**»[2]. وهذه النزعة الغربية في التمركز حول الذات ورفض التعددية، هي صفة لصيقة بنظرة مشروع الهيمنة الغربية "للذات"و "للآخر".

وعنها قال المستشرق الفرنسي "مكسيم رودنسون"[1915-2004م] «**وكان من المحتم أن يؤدّي هذا كلّه إلى تشجيع التمركز حول الذات، وهي صفة طبيعية في الأوربيين، كانت موجودة دائما، لكنها اتخذت الآن صبغة تتسم بالازدراء الواضح للآخرين ..**»[3] فالمركزيّة الغربيّة إذن هي، إيديولوجية غربية تقوم على التمركز حول الذات، حيث تجعل من الذات مركزا للعالم، في حين يمثل العالم الغربي الأطراف والهوامش.

[1]–محمد عزيز الحبابي، **مفاهيم مبهمة في الفكر العربي المعاصر**، دار المعارف، القاهرة، 1990، ص204.

[2]–عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد الغامدي، **المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الانسان**،ص28.

[3]– محمد عمارة، **الإسلام في عيون غربية: بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء**، (د،ط)، (د،ت)، دار الشروق، ص65.

2. مراحل تشكّل المركزية الغربية

أمّا من حيث كيفية تشكّل مفهوم المركزية الغربيّة، فإنّه يُمكن القول إنّه قد تراكم تكوّنها عبر تاريخ علاقات أوروبا بغيرها من الشّعوب، ومنه فـ«**تاريخيا فإنّ عملية ابتداع أوروبا كانت عملية أسبق زمنيا، حيث بدأت منذ النهضة ومشروع التنوير والاكتشافات. يرى أريك فروم(1900–1970) أنه منذ القرن السادس عشر بدأ عهد جديد حيث بدأ الإنسان الأوروبي يرسم دعائم العلوم الحديثة والتي استهدف بها تغيير وجه الأرض، وهكذا سقطت جميع المبادئ التي كانت سائدة خلال العصور الوسطى، لتبدأ عقيدة جديدة تتوحد أوروبا تحت لوائها وهي عقيدة تؤمن بالعلوم الطبيعية والسيطرة على قوى الطبيعة**»[1] فما عرفته أوروبا في فترة النّهضة من تطورات تاريخيّة هو ما أسهم في توحيد أوروبا، من خلال تبنيها لمبادئ جديدة ألغت ما كان سائدا.

ومن جهة أخرى فقد «**ذهب دوفيز إلى أنّ "أوروبا" على الصعيد التاريخي "إبداع من العصر الوسيط". أما جغرافيا، فهي "مجموعة أراض" وردت الإشارة إليها في تضاعيف مدونات سترابون وبطليموس وبلين وغيرهم. كانوا يتحدثون عن الأرض التي ستصبح "أوروبا" ويعينون لها حدودا، ولكن ليس ثمة بعد أوربيون:**

[1]– محمد عمارة، الإسلام في عيون غربية: بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء ، ص10 ،11.

الصفةEuropeanus(أوروبي) غير مستخدمة»[1]. ففكرة وجود أوروبا كانت موجودة، لكن صفة "أوروبي" لم تتضح معالمها بعد نظرا لوجود شعبين مختلفين في المنطقة.

أ- العصر اليوناني والروماني

لليونان فضل كبير على القارّة العجوز (أوروبا) لأنها مهد التطور، والحضارات ومهد العلوم، والّتي اعتمدت على عقل الإنسان بشكل مباشر باعتباره المفتاح «**يمكننا القول أن من أهم مصادر تشكل تلك المركزية استلهامها لجذورها الممتدة في الفكر اليوناني التي بنيت رؤيته للعالم على ثنائية الإنسان والطبيعة، باعتبار أن الإنسان مركز الكون، ومقياس الأشياء، وأن حقيقته أنه عقل، في مقابل الطبيعة أو "المادة"**»[2]

فالمركزيّة الغربيّة هي وليدة الحضارة اليونانيّة، وبما أنّ العقل البشري، والعلم والفلسفة نشآ عند اليونان، فالحضارة اليونانيّة تعدّ أخصب الحضارات على مرّ التاريخ.

ساهمت الثقافة اليونانيّة الإغريقيّة على التطور، والنهضة الأوروبية لأنّها تتلاقى مع العقل، والمنطق ولأنّها صالحة لكل زمان ومكان «**وجد الغرب والأوربيون بشكل خاص في التراث اليوناني- الروماني أصلا ملائما لنهضتهم. فكما يرى "د. حسن حنفي" أن للوعي الأوروبي مصدران معلنان هما: المصدر اليوناني- الروماني**

[1]-عبد الله ابراهيم، المركزية الغربية، ص12.

[2]-عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد الغامدي، المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الإنسان، ص28.

Greco-Romain،والمصدر اليهودي المسيحي Jodeo–Christian»[1] فالمصدر اليوناني يعتبر المورد الأوّل الذي تستقي منه المركزيّة الغربيّة مبادئها .

فالحضارة الغربيّة الأوروبيّة قامت على إعادة بعث الفكر اليوناني، الذي يمتاز بالطابع العقلي، وهو ما يؤكده **برتراند راسل** الذي حصر العلم، والمعرفة في العرق اليوناني يقول «**الفلسفة والعلم كما نعرفهما، اختراعان يونانيان**».[2] فاليونان جغرافيا جزء من أوروبا، وحضاريا مصدر ثقافته الأوّلى، باختصار النهضة الأوروبيّة قامت على إحياء الثقافة والحضارة اليونانيّة.

ب– العصر الحديث

شهدت الفلسفة في العصر الحديث تغيرات جوهرية، ساهمت في تكوين المركزيّة الغربيّة ومن أهم العوامل التي أسهمت في هذا التغيير، الكشوفات الجغرافية، والنّهضة العلمية.

–الكشوفات الجغرافية:

وهي من العوامل الأكثر أهميّة التي ساهمت في تأسيس هوية الغرب الحديثة «**الكشوفات الجغرافية الكبرى وهي حسب تودروف، الحدث الذي دشّن لهوية الغرب الحديث**»[3]

[1]–عبد الله ابراهيم، **المركزية الغربية**، ص21.

[2]– عبد الله ابراهيم، **المطابقة والاختلاف: بحث في نقد المركزيات الثقافية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2005، ص595.

[3]–عبد الله ابراهيم، **المركزية الغربية**، ص15.

فحسب تودروف، كانت البداية الفعلية للعصر الحديث عندما ذهب كريستوف كولومبوس لاكتشاف العالم الجديد وذلك عام 1492م، حين «**ارتهنت أوروبا كقوة طالعة بلذة الاكتشاف، ووصف "العالم الجديد"، بأنه "أمريكا"، ومنذ أن وطأت قدما الأميرال الإسباني "أمريكوفيسبوتشي" هذه الأرض، أعلنت نسبتها إليه**»[1] الرجل الأوروبي وتسليمه بأنّه هو مركز العالم، أدى به إلى نسب كل ما يوجد على الطبيعة لنفسه، الأمر الذي حدث مع كريستوف كولومبوس الذي نسب القارة إليه وأعطاه اسمه؛ وبهذا التصرّف ألغى وجودها التاريخي، وبنسبه لها لنفسه هذا في حدّ ذاته يعدّ ممارسة إقصاء فريدة من نوعها.

أفضى الفتح إلى شعور جارف بالتفوق والقوّة «فالفاتح سواء أكان مكتشفا أم مقاتلا أم باحثا عن الذهب أم راهبا، وجد نفسه في مواجهة منظومة قيم مغايرة لمنظومة القيم التي يحملها...وتمخّض ذلك عن انهيار قيم وظهور أخرى، ومن وجهة نظر الفاتح الأوروبي، فإنه بقوته وحضارته وأهدافه اخترق سكون ذلك العالم الخامل...لقد تم الإجهاز على المقومات الخاصة بتلك الشعوب والجماعات البشرية»[2]

فالكشوفات الجغرافية وبالأخص اكتشاف العالم الجديد، هو ما أسهم في تأسيس هوية الغرب كقوة طالعة، مما أكسبها الشعور بالقوّة، والسيطرة وجعلها في الصدارة،

[1]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2]–عبد الله ابراهيم، **المركزية الغربية**، 16–17.

فأصبح كل شيء منسوب إليها، وأصبحت مركز العالم، وكلّ ماهو غير أوروبي اعتبرته هامشا وغير متحضّر.

- **الثورة الفكرية والعلمية**

وبعد أن خرجت أوروبا من العصر الوسيط «**حينما أظهرت الأنتلجنسيا إلى الوجود حسا جديدا من خلال الفن والأدب والفلسفة والعلم...وانحسر نفوذ الكنيسة في الأوساط الثقافية عمّا كان عليه من قبل، وأصبح الاتصال بالماضي اليوناني والروماني محكوما بعلاقة متحررة من سلطة التقاليد والكنيسة، ثم تفجرت الثورة العلمية التي استبدلت بكثير من المعتقدات أخرى جديدة، وأصبح العالم مجالا للممارسة العقلية الغربية**»[1] إنّ خروج أوروبا من العصور الوسطى وتحررها من ظلمات الكنيسة، أدى إلى ظهور الثورة العلمية التي أنتجتها الفئة المثقفة من خلال الأدب والفن.

ومنه «**فالبنية الذهنية للأوربيين لا ترتضي حقا إلاّ بمبادئ واضحة وجلية تفضي بسلسلة استنتاجات إلى نتائج تفرض نفسها بجلاء**»[2]. فأصبح التفكير الأوروبي عقلي منطقي بعد أن تخلّص من الخرافات التي كانت تشيعه الكنيسة في العصور الوسطى، وأصبح هدفه السيطرة على العالم وإقصاء الآخر فصار الغرب مصدرا لمدنيّة جديدة، فيما وسم العالم الآخر بالتوحش والهمجية .

[1]– عبد الله ابراهيم، المركزية الغربية ، ص17

[2]– ميشال دوفيز، **أوروبا والعالم في نهاية القرن الثامن عشر**، تر: إلياس مرقص، دار الحقيقة، بيروت، 1980،ص20.

3- استعباد وتهميش الهندي الأمريكي

قسّم هيجل الأعراق إلى مراتب بحسب درجة وعيها، كما يؤكّد أن العالم يبدأ من الشرق ليبلغ أوج نضجه في الغرب «**فتاريخ العالم نوع من محاكاة رمزية لحركة الشمس يبدأ من الشرق وينتهي بالغرب**»[1]. فقد قسم هيجل العالم حسب خطوط الطول إلى عالم قديم وجديد «**أمّا الجديد فهو ما يطلق على "الأمريكيتين وأستراليا"...فوجود الجزر الفاصلة بين أمريكا الجنوبية وآسيا، يدل على عدم نضج طبيعي...وهذه "الهشاشة" في الطبيعة، تؤدي كما يقول هيجل إلى "هشاشة" في التكوين النفسي لسكانها**»[2]

يقول هيجل «**الثّقافة في الأمريكيتين – ومثال ذلك المكسيك وبيرو – تنقضي بمجرّد ما تقترب الروح منها**»[3] كما يرى أن السكان الأصليين لأمريكا يتميزون بالخنوع والضعف والخضوع للرجل الأبيض ويتصفون بالجبن والسكون «**والواقع أنّ تخلف هؤلاء الأفراد في جميع النواحي، حتى في أحجامهم، واضح للعيان**»[4]

فتقسيم هيجل للعالم وربطه بين هشاشة العالم الجديد(أمريكا) بهشاشة سكانه يؤسس لتمركز الأنا الغربيّة ومسخها للآخر واختزاله.

---

[1]–عبد الله ابراهيم، **المركزية الغربيّة**، ص298.

[2]– المرجع نفسه، ص300.

[3]– عبد الله ابراهيم، المركزية الغربيّة، ص300.

[4]–المرجع نفسه، ص 236.

ثالثا: خطاب الأفريقانية (الخطاب الأفرو-أمريكي)

1- تاريخ الأدب والنقد الإفريقي الأمريكي

ظهر النقد الأفريقاني في أمريكا، وهو يحمل طابعا نضاليا ضد العبودية وطابعا اجتماعيا خاص بالعنصرية التي كانت تمارس اتّجاه السود، من أجل تحقيق التعايش بين البيض والزنوج في الوطن الواحد.

وقد ظهر وعي بإشكالية المركزية، وأصبح من الواجب التّخفيف من انعكاساتها على علاقات الشعوب والإثنيات داخل البلد الواحد، حيث «**إنّ عمليات نزع المركزية في ما بعد الحداثة تشكّك في النّماذج العرقية والمعرفية والثّقافية وفي أشكال الخطاب الثانوية والمهمّشة وفي التراث، وبالتالي فإنّ وجهات نظر المثقفين والفنانين الأفرو-أمريكيين ممن يعايشون تاريخا مشتركا بين البيض والسود تتّسم بأهميةٍ نظريةٍ وعملية خاصة**»[1]. وهكذا تمّ النّظر إلى مسألة التّمركز باعتبارها ثقلا على الإنسانية.

وفي ظلّ هذا السّياق فإنّه من الأجدر أن نربط ظهور أدب أمريكي خاص بالزّنوج بكلّ تلك المحدّدات الفكرية والإيديولوجيّة، حيث «**تصعب كتابة تاريخ للأدب الإفريقي الأمريكي دون مناقشة مصطلحي "أدب" و"أفريقي-أمريكي" وما يثيره**

[1]-بيتر بروكر، **الحداثة وما بعد الحداثة**، تر: عبد الوهاب علوب، منشورات المجمع الثقافي، ط1، أبوظبي، 1995، ص333.

تجاورهما من قضايا، إذ لا يحظى أي من المصطلحين، وإن بدا عكس ذلك، بوضوح المعنى ولا بالشفافية».[1]

أسّس "مالكولم إكس" في يونيو 1964 منظمة الوحدة الأفرو-أمريكية وصاغ بيان الأهداف والأغراض الأساسية الذي أعلن من خلال قوله «**علينا إطلاق ثورة ثقافية لإلغاء غسيل المخ عن شعب بأسره، ولابد أن تكون ثورتنا الثقافية الوسيلة التي تقربنا من إخواننا وأخواتنا الأفارقة...إنّ الأفارقة الأمريكيين لن يشعروا بالحرية في الإبداع إلاّ عندما يستطيعون الاعتماد على دعم المجتمع الأفرو-أمريكي؛ وينبغي على الفنانين الأفارقة أن يدركوا ضرورة استلهام العنصر الأفرو-أمريكي**»[2]. فالثورة الثّقافية الهدف منها هو محاولة التّنبيه إلى الآثار الوخيمة للعنصرية والتّمركز العرقي .

وقد «**حدث في فترة حركة التّحرر للسود في أمريكا ميلاد جديد-أو "نهضة جديدة"- في فنون السود بما فيها الشعر والدراما والقصة والنقد الأدبي، واكتسب النقد الأسود على وجه الخصوص خلال أيام حركة القوة السوداء حيوية وأهمية خاصة**»[3]

ظهر الأدب الأفرو-أمريكي عند الطبقات الاجتماعية من السود واتخذ أشكالا عديد أبرزها الفن والموسيقى، تقول الكاتبة والروائية الأمريكية "توني موريسون" «**أنّ**

---

[1]-ك.نلووف.ك.نوريس.ج.أوزيورن، موسوعة كامبريدج في النقد الأدبي ج9، القرن العشرون المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، مراجعة وإشراف: رضوى عاشور، المجلس الأعلى للثقافة، ط1،العدد919، القاهرة، 2005، ص355.

[2]-فنسنت ب. ليتش، النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات الى الثمانينيات، تر: محمد يحي، المجلس الأعلى للثقافة، (د،ط)، (د،س)، 200،ص345-346.

[3]- المرجع نفسه، ص345.

الظروف النفسية والاجتماعيّة المرتبطة بالحداثة وما بعد الحداثة كانت تتطابق مع العبودية بالنّسبة للسود. "فالحياة الحديثة تبدأ بالعبودية. وكان على المرأة من وجهة نظر نسائية أن تتعامل مع المشكلات بعد الحديثة في القرن التاسع عشر وما قبله...أنواع معينة من الانحلال وفقدان الاستقرار والحاجة إلى بنائه من جديد» [1]. فقد دخل الفكر المعاصر مرحلة جديدة فرضت على كلّ التّعاملات القديمة بين الأوروبيين وغير الأوروبيين أن تضمحلّ وأن تظهر بدلها قيم التّسامح والعدالة .

وهكذا فإنّه «**لا بدّ أن يتضمّن التنظير لهذا الأدب–الذي يُعيد النظر في أولوية النص المكتوب والعلاقة بين الفن والسياسة والأغراض الدعائية– اعترافا بالأميّة التي فرضت على الأفارقة الأمريكيين في فترة العبودية، وبالدور الذي لعبته فكرة الكتابة في الإيديولوجيات المعبرة عن سلطة البيض وهيمنتهم**»[2]. مصطلح "إفريقي أمريكي"، مصطلح مهجن يستخدم فيما لا يخلو من مفارقة للتعبير عن هوية جمهرة من الكتابة.

ومنه يمكن تعريف الأدب على أنّه «**مجموعة الأعمال الكتابية التي يتمّ إنتاجها في لغة، دولة أو سن معين، وينقسم إلى ثلاث فئات؛ النثر، الشعر، المسرحية. و هو لا يقتصر على الأعمال المكتوبة فقط، لكن يمكن أن يكون خيال أو كلام شفوي أو أغاني**

[1]–بيتر بروكر، الحداثة وما بعد الحداثة، ص333–334.

[2]–ك.نلووف.ك.نوريس.ج.أوزيورن، موسوعة كمبردج في النقد الادبي، ص356

.ولكل دولة الأدب الخاص بها و الذي يمثل المرآة العاكسة للغتها وثقافتها فنجد على سبيل المثال، الأدب الكندي، الإفريقي، الأمريكي، الإنجليزي والهندي...»[1]

في سنة 1921 قامت ماسي (Macy) بتعريف الأدب الأمريكي بأنه «**فرع من الأدب الإنجليزي، كما هو حال الكتب الإنجليزية المكتوبة في اسكتلندا أو جنوب إفريقيا، انتجت تقريبا في القرن التاسع عشر عندما تم تبادل أفكار و كتب العالم الغربي بحرية بين الدول وأصبح في متناول العديد من القراء**»[2].

فالأدب الأمريكي هو مجموع الأعمال الأدبية التي تم كتابتها وإنتاجها من طرف كتاب أمريكيين فيما يتعلق بحياة المجتمع والثقافة الأمريكية «ظهر في أمريكا منذ وجودها في شكل مستعمرات، من قبل بعض الكتاب الإنجليز المهاجرين نذكر منهم "جون سميث"، "ويليام برادفورد" و"طوماسآش"، رفض الكتاب الأمريكيون هيمنة السلطة وطالبوا بالمساواة والديمقراطية وقد انعكس ذلك على أعمالهم الأدبية».

فكان الأدب أداة ووسيلة فعالة لتحسين أوضاعهم وعلاج مشاكلهم الاجتماعية..رفضوا الاتجاه السائد وتطلعوا إلى خلق اتجاه جديد يمكنهم التعبير من خلاله عن أحلامهم وطموحاتهم ومشاعرهم بكل حرية بالإضافة إلى ترسيخ

[1] Merriam-webster's advanced learner's **englishdictionar**

[2]– Engy Gaber Salama ,**Afroamericanilteratureasystemic functional analysis of discours in selected afro american slave narratives**, Banha University.2016.p25.

أيديولوجيتهم الخاصة و قيمهم، ومن بين هؤلاء الكتاب، "صمويل آدامز"، "توماسبين" و"بنجامين فرانكلين"

يمثل الأدب الأفرو أمريكي جزءا من ثقافة وأدب المجتمع الأمريكي، ويعتبر تغيير أدبي ثوري بدأ مع الشاعرة و الكاتبة الإفريقية الأمريكية "فيليس ويتلي" إلى توني موريسون، الكاتبة الإفريقية المعاصرة.

بدأت الكتابة الأفرو-أمريكية في الظهور للعلن خلال القرن الثامن والتاسع عشر، تمّ إنتاج هذه الأعمال الأدبية في الولايات المتّحدة الأمريكيّة بعد استقلالها، من طرف بعض الكتاب السود الذين قاموا بسرد وقائع حياتهم، والتعبير عن تجاربهم الخاصة خلال مرحلة العبودية، بعدما تمكنوا من الظفر بحريتهم «**عانى هؤلاء الكتاب في المجتمع الأمريكي الأبيض وسعوا للنضال مطالبين بالمساواة والعدل ومحاولين إثبات هويتهم، وقد تمكنوا من نشر أعمالهم وكتاباتهم بمساعدة بعض المحررين البيض وذلك من أجل كسب المصداقية في المجتمع الأمريكي الأبيض**»[1]

2- قضايا الأدب الإفريقي الأمريكي:

يفيدنا سعينا لاكتشاف هذه القضايا أن نفهم التراث الأدبي الإفريقي الأمريكي «بصفته نقدا ضمنيا للممارسات الأدبية القائمة: الرد عليها، والرد بالأسود، أي خوض كفاح متصل من أجل التحرر وتعريف الذات في أمريكا العنصرية، ولكن الوعي بأن

[1]-Engy Gaber Salama ,**Afroamericanilteratureasystemic functional analysis of discours in selected afro american slave narratives**, Banha University.2016.p25.

الأدب الإفريقي–الأمريكي في مستوى من مستوياته، كان دائما ردا على عنصرية أمريكا، وأن تجربة العنصرية تشكل موضوعه الاكبر»[1] ويسعى إلى كشف الاشتباك الواعي مع القيم النقدية السائدة وما ترتبط به من تقاليد ونماذج.

إنّ بدايات الكتابة الأمريكية الإفريقية خلال القرن الثامن عشر، كانت إلى حد كبير نتيجة الجهود الكبيرة التي بذلها العبيد الأفارقة، لإثبات إنسانيتهم للبيض الذين اعتبروهم بأنهم ليسوا بشرا تامين، لا يستطيعون لا القراءة ولا الكتابة أو الإبداع، وكانت فيليس ويتلي **Philis Weatley** أول أمريكية من أصل إفريقي تنشر كتابا باللّغة الإنجليزية، وأوّل كاتبة تحرز اعترافا دوليا «كانت بداية ظهور الصوت الأسود في الأدب مدهشة إلى درجة أن كتاب ويتلي: قصائد عن مواضيع مختلفة دينيّة وأخلاقيّة **phillis wheatley : poems on various subjiect, religious and moral** استدعى مقدمة من فقرتين بعنوان "شهادة"، وقعت عليها لجنة من أرفع مواطني بوسطون مكانة، لكي يؤكدوا للعالم أن القصائد المشار إليها في الصفحة التّالية هي فعلا إبداع أصيل لصبية زنجية»[2] ولدت فيليس ويتلي في إفريقيا، سرقت من منزلها وأحضرت إلى المستعمرات كعبد خلال طفولتها، تم شراءها من قبل عائلة رجل الأعمال "جون ويتلي" في بوسطن، والتي علمتها القراءة والكتابة وشجعت

[1]–Albert Murray, Cited in Robert Stepto. **"Afro-American Literature"**, In Emory Elliot (ed). Columbia Literary History Of The United States (New York : Columbia University Press, 1988) P.787.

[2]– ك.نلووف.ك.نوريس.ج.أوزيورن، **موسوعة كامبريدج في النقد الأدبي**،ص 358

شعرها عندما رأوا موهبتها، تعلمت "فيليس" اللغة الانجليزية بسرعة وشرعت في دراسة الإنجيل بالإضافة إلى أعمال مدرسية مكتوبة باللاتينية والإغريقية، بدأت بكتابة الشعر وكانت أول قصيدة نشرتها عام1767، وسرعان ما ذاع صيتها، ليس كشاعرة عادية ولكن كشاعرة من إفريقيا، وقد ركزت قصائدها عن موضوعات متعددة، دينيّة وأخلاقيّة...مثبتا بذلك خطأ المقولة العنصرية التي تقول بكون السود عاجزين عن الإنتاج الفكري والإبداع، وكان عدد من فلاسفة التنوير «من بينهم ديفيد هيوم وإمانويل كانط وهيجل، قد مثلوا الأفارقة بصفتهم عرقا غير قادر على إنشاء ثقافة أو الإسهام في الحضارة»[1] فقد وصفوهم على أنهم أدنى كثيرا من البيض في العقل وأن مستوى أفكارهم لا يتجاوز مستوى الحديث البسيط.

2-1 الكتابة الزنجية قبل الحرب الأهلية

أ. سرد العبيد .

يطلق على هذا النوع من الكتابات "السير الذاتية" ويعرف أيضا بـــ "سرد العبيد" وهو فئة فرعية من الأدب الأفرو-أمريكي (أدب الأمريكيون ذوي الأصول الإفريقية) ويعرف على أنه «**رواية حياة شخص خاض تجربة الاستعباد، هذه الروايات هي عبارة عن قصص كتبت من طرف العبيد أنفسهم للكشف عن تجربة العبودية التي مروا بها. بدأ ظهور هذا النوع من الكتابة بين عام 1760م إلى غاية نهاية الحرب الأهلية بعد**

[1]-Emmanuel ChukwudiEze(ed), **Race And The Enlightenment**, A Reader (Cambridge,Mass ; Blackwell Publishers,1997) p 98-99.

عام 1865م،لدى بعض العبيد السابقين الذين نجحوا في التحرر»[1] الغرض الرئيسي لهذا النّوع من الكتابة، سرد التجربة الشخصية للاستعباد وجذب انتباه العالم الأمريكي والأوروبي لمعاناة ضحايا النظام الوحشي للعبودية، وتكمن أهميته في توسيع معرفة الفرد بالأدب والثّقافة الأمريكيّة، كما يصور أيضا العلاقة الوحشيّة بين تجار العبيد البيض القاسين والضحايا السود الضعفاء والمضطهدين.

منذ العصر الكولونيالي حتى اندلاع الحرب الأهلية **«تتخذ كتابات الأفارقة الأمريكيين عموما شكل السيّر الذاتية وتسهم غالبا في الدعاية لحركة تحرير العبيد، تفاوتت سير العبيد (وهو الاسم الذي أصبحت تعرف به) بين بيانات موجزة في الصحف، والمنشورات السياسية، وكتب كاملة عادة ما كانت تنشر مسلسلة في الدوريات»**[2].

كتب العبيد روايات السيرة الذاتية لتنبيه الشماليين البيض على محنتهم **«كما نرى في رواية هارييتجاكوبس"Harriet Jacobs" حوادث في حياة الرقيق "Incidents In The Life Of a Slave Girl"(1761). حيث كان الاعتقاد أن العبيد الأفارقة غير قادرين على الكتابة، منتشرا على نطاق واسع، حتى في الشمال، إلى حد أنّ العديد من روايات السود كانت تُستهل بتصريحات من رعاة الأدب البيض**

[1]– Slave Narrative.2015. Encopedia Britannica Online. Retrieved 04 September,2015, From http:// www.Britannica.com/art/Slave-Narrative.

[2]– ك.نلووف.ك.نوريس.ج.اوزيورن، موسوعة كامبردج في النقد الأدبي، ص358.

للشهادة بهوية الكاتب وأصالة السرد»[1] وقد واجه الكتاب السود صعوبة كبيرة في جذب القراء من البيض إلى الاطلاع على كتاباتهم ونصوصهم وذلك كونهم يرون أنّ العبيد غير قادرين على الإنتاج الأدبي.

يقول أندروز (1993)طوال القرن التاسع عشر حتى القرن العشرين سادت السير الذاتية للعبيد السابقين في روايات السرد الأفرو–أمريكي بحوالي خمسة وستين سردا للعبيد نُشر في كتب أو كتيبات قبل 1865[2]

حاول العديد من الكتاب العبيد من خلال هذه الكتابات وصف كيف أنهم اكتسبوا الوعي المؤلم عندما كانوا أطفالا؛ بأنهم لم يكونوا أحرارًا مثل الأطفال البيض وكيف أنهم كبالغين تمردوا ضد وضعيتهم التي تصفهم كممتلكات، وسعوا من أجل الحرية، لذلك يعتبر سرد العبيد، كما أوضح أندروز، مصدرا قيما للقراء، يعرفون من خلاله تفاصيل حياة العبيد اليومية في منازل الأسياد البيض.

كما أكّد جيبسون أيضا فيسرد العبيد (السيرة الذاتية السوداء في أمريكا القرن التاسع عشر) أنّ معظم روايات العبيد تعتمد على مجموعة متنوعة من المصادر مثل اليوميات ورسائل البيض، وسجلات ووثائق المزارع والحكومات المحلية، وسجلات التعداد، والصحف، وشهادات معارف الرواة.

[1]– لويس تايسون، **النظريات النقدية المعاصرة**، تر: أنس عبد الرزاق مكتبي، دار جامعة الملك سعود للنشر،(د،ط)، (د،س)، الرياض، 1435، ص344.

[2]– Engy Gaber Salama ,Afroamericanilteratureasystemic functional analysis of discours in selected afro american slave narratives, Banha University.2016, p28.

1- أولاوداإكويانو (السرد المثير لحياة أولاوداإكويانو)

كان ألاوداإكويانو(**OlaudahEquiano**)أول كاتب أسود يعبر عن حياته الشخصية في رواية السيرة الذاتية «**القصة المثيرة لحياة ألاوداإكويانو أو جوستافوس فاسا الإفريقي (1789) theinterstingnarrativeofthe life of olaudahequianoorgustavusvassa,theafrican كانت السيرة التي شكلت سابقة لهذا النوع من الكتابات، ووضعت السمات الأساس لجنس أدبي سيتطور على يد كتاب لاحقين من أمثال فريديريك دوجلاس وهاريت أ.جيكوبز**»[1] حظيت السيرة الذاتية لإكويانو بشعبية كبيرة في القرن التاسع عشر لأنها قدّمت صورة واضحة لوحشية العبودية. بالإضافة إلى ذلك قدّمت صورة مفصلة كاملة للحياة في إفريقيا، كما صور المعاناة والعذاب الذي كان يتعرض له العبيد في المزارع، وصولا إلى تعلّمه للكتابة والقراءة وما لها من قيمة سياسية بالنسبة للإفريقي الأمريكي، يقول هنري لويس وجيتس وشارلز تي ديفيز «**نشأت سير العبيد ردا على الزعم بأن السود لا يستطيعون الكتابة، ودحضا له**»[2]

ويظهر السعي هذا لتعلم القراءة والكتابة أكثر في سيرة حياة "فريديريك دوجلاس".

[1]-ك.نلووف.ك.نوريس.ج.اوزيورن، موسوعة كامبردج في النقد الأدبي، ص359.

[2]- Charles t. Davis And Henry Louis Gates. Jr.(eds) , **The Slave's Narrative** (New York , Oxford University Press 1985, P xv.

2- فريديريك دوغلاس عبد أمريكي

كانت السيرة الذاتية التي كتبها فريدريك دوغلاس تحت عنوان "مذكرات عبد أمريكي" **«بمثابة شهادة صارخة عن واقع العبودية السائدة في ذلك الوقت في الولايات المتحدة الأمريكية فقد كان فريديريك دوغلاس واحدا من العبيد الذين نجحوا في الهرب من الولايات الجنوبية إلى الشمال وهناك ساهم في النضال ضد العبودية التي عانى منها كثيرا، كما كتب شهادته التي جسد فيها المعاناة الرهيبة التي عاشها الأفارقة السود في أمريكا جراء هذه العبودية»** تعدّ سيرة حياة فريديريك دوغلاس، من بين أكثر النصوص شهرة بين سير العبيد، بيع منها أكثر من ثلاثين ألف نسخة في السنوات الخمس الأولى من نشرها، يشمل النص أحد عشر فصلا، يروي فيه أحداث حياته كعبد وطموحه أن يصبح رجلا حرًا، ويعتبر عموما أشهر ما كتبه العبيد السابقين خلال تلك الفترة.[1]

نقلت لنا السيرة الواقع بكل تفاصيله من دون مبالغة أو استخدام للخيال يقول وليام "اللويد جاريسون" في مقدمة مذكرات عبد أمريكي **«إنها سيرة تخلو من كل حقد أو مبالغة، ولا شيء فيها من نسج الخيال، بل هي بنت الواقع مباشرة، ولا تزيد أي واقعة فيها بالنظر إلى العبودية ذاتها»**[2] احتوى النص الذي أنتجه دوغلاس على الكثير

[1]-انظر شوقي بدر يوسف، الرواية الإفريقية "إطلالة مشهدية"،وكالة الصحافة العربية (ناشرون)، (د،ط)، (د،س)، القاهرة، 2017، ص162.

[2]-أنظر فريديريك دوجلاس، مذكرات عبد أمريكي، تر: إبراهيم عبد المجيد، بيت الياسمين للنشر والتوزيع، (د،س)، (د،ط)، ص10.

من الوقائع والأحداث المحركة للنّفس والوجدان، والصفحات القوية والبليغة التي نقل لنا من خلالها مأساة الزنوج في أمريكا، ولا سيما في ولايات الجنوب.

صورت بكل صدق فظاعة الحياة في المزارع الواسعة في الجنوب الأمريكي تحت مظلة العبودية «**تضرب عميقا في النفاذ إلى جوهر العبودية، والأعمال اللاإنسانية لملاّك العبيد**»[1] فهي تمثل قصة روح تعذبت، وتعرضت للظلم والاضطهاد، كما نقلت لنا المعاناة التي كابدها دوغلاس العبد، وهو يتطلع إلى الحرية ومجهوداته الجبارة التي بذلها في سبيل كسب حريته، وفي سبيل تعلم كل من القراءة والكتابة، وتعد سيرته أحد النصوص الأكثر تأثيرا في الأدب والتي أوقدت حركة إلغاء العبودية في مطلع القرن التاسع عشر في الولايات المتحدة.

مهد كل من "أولاودااإكويانو" و "فريديريك دوغلاس" من خلال كتاباتهم الطريق لظهور روايات أخرى تدعوا أيضا إلى إلغاء العبودية والتي نذكر من بينها؛ عبد لإثني عشر عاما من العبودية، سرد "سولمون نورثب"(1853)، سرد "وليام ويلز براون"، عبد أمريكي (1884).

تميز سرد العبيد ببعض من الخصائص المشتركة، يقول أولني «**أنّ الكتّاب السود بدأوا سردهم بإعطاء معلومات عن أماكن ولادتهم، وعن وضعهم الاجتماعي كعبيد وعن نسبهم، كما قدموا بعض التفاصيل بخصوص حياتهم في منازل أسيادهم، وممارساتهم القاسية على العبيد والمعاملة الوحشية لهم، وبالإضافة إلى ذلك قاموا**

[1]– المرجع نفسه، ص6.

بوصف محاولاتهم للهرب لتحقيق حريتهم، باستعمال ضمير المتكلم (أنا) للتعبير عن استقلالهم العقلي والروحي»[1] وفي القرن التاسع عشر منع البيض عبيدهم من التعليم حيث كان هذا الأخير عمومًا مسألة غير قانونية **«وعلى سبيل المثال فقد صدر قانون بعد هبّة من هبّات العبيد في ساوث كارولاينا يحظر عليهم القراءة والكتابة أو العمل في أي مجال يتطلب هذه المهارات»**[2] فقد اعتقدوا أن التعليم يمثل تهديدًا وخطرًا كبيرًا لأنه يعطي العبيد الفرصة للتمرد ضد أسيادهم.

حاول الكتّاب العبيد السابقين، من خلال سيرتهم الذاتية، إثبات هويتهم واستقلاليتهم والحفاظ على إنسانيتهم، فقاموا برواية نضالهم، ومعاناتهم والمعاملة القاسية لهم، وكيف هربوا من الاستعباد وكيف حققوا حريتهم في النهاية، كما أصروا من خلال كتاباتهم على وضع حدّ لنظام العبودية الظّالم والقمعي، واعتبر سردهم مصدر تشجيع لعبيد آخرين، من أجل المحاربة في سبيل حريتهم للتخلص من قيود المجتمع الأبيض الظالم، وقد أدى هذا السرد إلى ظهور الأدب الأفرو–أمريكي في المجتمع الأمريكي والأوروبي وفي العالم أجمع.

كذلك يعتقد أن سير العبيد أثرت تأثيرا كبيرا جدا على روايتين كانتا الأوسع انتشارا في القرن التاسع عشر هما: **كوخ العم توم** (1853)و هَاكِلْبِرى فِن (1883).

[1]–Engy Gaber Salama , **Afro americanliteratureasystemicfunctionalanalysis of discours in selected afro americanslave**.p31.

[2]– ك.نلووف.ك.نوريس.ج.اوزيورن، **موسوعة كامبردج في النقد الأدبي**، ص359

استمر إنتاج سير العبيد بعد الإنهاء الشكلي للعبودية **«ولقد استطاع المشروع الفيديرالي للكتاب في العشرينات والثلاثينات أن يجمع شهادة 2500 من العبيد السابقين، وربما كان الأهم أن سير العبيد أنشأت تقليدا لكتابة السيرة السوداء»**[1] وهو تقليد تطور لاحقا في أعمال مثل الولد الأسود لريشارد رايت (1945)، الذي يروي قصة حياة الكاتب والروائي الأمريكي الأسود ريتشارد رايت، وهو نوع من السيرة الذاتية للفترة المبكرة من حياته، صور فيها حياة الزنوج في شيكاغو والمدن الكبرى. السيرة الذاتية لمالكوم إكس (1965)، نقل من خلالها أوضاع الزنوج الأمريكيين في تلك الآونة ونضاله من أجل رفع الظلم والعبودية عنهم، ونجد كذلك رواية محبوبة لطوني موريسون (1987)، التي صدرت بعد الحرب الأهلية في أمريكا، موضوع الرواية مستوحى من قصة زنجية أمريكية ذات أصول افريقية، تصور من خلالها الصراع بين الزنوج والبيض.

حتى الحرب الأهلية (1861–1865) **«ظلت السيرة هي الموضوع الغالب في الكتابة الإفريقية الأمريكية إلاّ أنّ بعض الكتاب لم يقصروا كتاباتهم على شكل السيرة الذاتية»**[2]. ففي عام 1853 نشر دوجلاس عملا أدبيا بعنوان "العبد البطل" التي تعتبر أول عمل قصصي طويل في الأدب الإفريقي الأمريكي. بعدها قام وليام ويلز براون بنشر أول رواية إفريقية أمريكية بعنوان "كلوتل" أو "ابنة الرئيس": سيرة حياة العبيد في

[1]–المرجع نفسه، ص361.

[2]– ، ك.نلووف.ك.نوريس.ج.اوزيورن، موسوعة كامبردج في النقد الأدبي ص361

الولايات المتحدة. والتي لاقت رواجا كبيرا فقد كان وليام ويلز براون كاتبا وفير الإنتاج، مارس كتابة كل من المسرح والشعر والمقالات، وكتابة الرحلات[1].

2-2 الكتابة الزنجية بعد الحرب الأهلية

أدّت الحرب الأهلية إلى إلغاء نظام الرّق والعبودية، لكنها لم تحقق المساواة للأفارقة الأمريكيين، وعلى الرغم من أن الرئيس "ابراهام لنكولن"[2]«كان قد ألغى خلال الحرب الأهلية في عام 1863م نظام استرقاق السود، إلاّ أنّ وضعهم في المجتمع الأمريكي بقي سيئا للغاية، حيث عملت القوانين الحكومية -وخاصة في الجنوب- على إبقاء الأمريكيون السود يعيشون ضمن أوضاع اجتماعية متردية»[3]

بعد نهاية الحرب الأهلية الأمريكيّة التي انتصر فيها الشمال، ومع أواخر القرن التاسع عشر تكونت منظمة (كوكلوكس كلان) وهي «**جماعة تتمتع بالنفوذ والقوة تعمل**

[1]- Engy Gaber Salama , Afro americanliteratureasystemicfunctionalanalysis of discours in selected afro americanslave.p30.

[2]-**ابراهام لنكولن:** هو ابن توماس لنكولن(Abraham Thomas Lincoln) ، الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية(1861-1865)، ولد في 1809م بمدينة هودجينفيل (Hodgen ville) بولاية كنتاكي(Kentucky)، كان عضوا في حزب الويك ثم انتقل إلى الحزب الجمهوري عام 1854م، دخل مجلس النواب الأمريكي سنة 1840م، ثم تولى الرئاسة سنة 1861م، اندلعت في عهده الحرب الأهلية الأمريكية بعد انفصال احدى عشر ولاية فتمكن من الانتصار وإعادة الولايات المنفصلة إلى الاتحاد المركزي، قمع ثورة الهنود الحمر في ولاية مينيسوتا (Minnesota) وأعدم ثلاثمائة منهم، في عام 1863م ألغى قانون الرق وأطلق إعلان تحرير العبيد في أمريكا. انظر أودو زاوتر، رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ 1789م حتى اليوم، دار الحكمة، ط1، لندن، 2006، ص115-125.

[3]-بيتر هاي، **موجز تاريخ الأدب الامريكي**، تر: هيثم علي حجازي، منشورات وزارة الثقافة، (د،ط)،(د،س)، دمشق، 1990،ص267.

على القيام بأعمال العنف ضد السود»[1] وتهدف لتأكيد سيطرة البيض عليهم، مما شكل تصاعدا للعنف العنصري.

اعتبر الأفارقة الأمريكيين مواطنين من الدرجة الثانية **«ولما كان الناشرون كغيرهم من الأمريكيين يميزون على أساس العرق، فقد كان قبولهم لتلك المؤلفات محكوم بمجموعة من الشروط والمواصفات الصارمة»**[2]، بالإضافة إلى تحديدهم للمواضيع المتناولة، وبالرغم من كل التعجيزات التي وضعها هؤلاء للحد من إنتاج السود.

1-**بول لورانس دانبار:** ظهر في نهاية القرن التاسع عشر شاعر أسود شاب اسمه بول "لورانس دانبار"**Paul Laurence Dunbar**(1872-1906م) شاعر وروائي وقاصّ أمريكي من أصول إفريقية، يعتبر من أوائل الأمريكيين ذوي الأصول الإفريقية الذين تكونت لديهم سمعة أدبية وصلت حتى العالمية[3] كان "دانبار" يكتب الشعر والقصص والمقالات باللغة الإنجليزية التقليدية الرسمية، وكتب أيضا بلغات أخرى من ضمنها الألمانية، كما كان يتقن بعض اللهجات الإقليمية من بينها لهجة المناطق الوسطى في الغرب الأمريكي. كتبت معظم أعماله الأدبية التي لقيت شهرة واستحسانا بلهجة الأمريكيين الأفارقة المرتبطة بالجنوب الأمريكي قبل الحرب الأهلية «وإن حظى بالاعتراف أساسا بسبب شعره المكتوب

[1]- انظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2]-انظر ك. نلووف.ك. نوريس.ج. اوزيورن، موسوعة كامبردج في النقد الأدبي، ص361.

[3]- ينظر ك.نلووف.ك.نوريس.ج.اوزيورن، موسوعة كامبردج في النقد الأدبي، 361.

بلهجة "الزنوج"»[1]، فقد شكلت قصائده المكتوبة باللغة الدارجة مرحلة مهمة، وأثارت إشكالا بين النقاد، حيث رأى البعض منهم **«أنّ هذا الشعر العامي كان استجابة لمطالب الناشرين والقراء الذين يريدون نماذج جاهزة ومشوهة للسود تنافي واقعهم، وتستخدم التقاليد الأدبية واللغة السائدة في أدب المزارع»**[2] والتي ترتبط بكتاب بيض من أمثال "جول شاندلر هاريس"**JoelChandlerHarris** (1848–1908م) مؤلف حكايات "العم ريموس" الشهيرة الذي ابتكر شخصية العجوز الزنجي الحكيم "العمّ ريموس" وجعلها محور أثاره كلها تقريبا [3]. اعتمد في كثير من قصصه على ما كان يتناقله الناس من حكايات بما فيها الحكايات الشائعة بين الأفارقة في أمريكا، شجعه نجاح مجموعته القصصية على كتابة مجموعة أخرى بعنوان "أمسيات مع العم ريموس" (1883م)[4] ومن أهم ما ميز أعمال هاريس صياغته الأدبية للأدب الشعبي الزنجي.

وعلى الرغم من اختلاف وتباين أراء ومواقف النقاد حول أصالة الصوت الزنجي، إلا أنهم في الأخير يجمعون على أهمية "دانبار" في تطوير الممارسة الأدبية

[1]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2]– المرجع نفسه، ص362.

[3]– عزيزة فوّال بابتي، **موسوعة الأعلام (العرب والمسلمين والعالميين)**، دار الكتب العلمية، ج2، بيروت، لبنان، ص295.

[4]– عبد الله خليل هيلات، **الموسوعة الأدبية العالمية**، دار الكتاب الثقافي، (د،ط)، (د،س)، الأردن، أربد، 2012م، ص172.

الإفريقية الأمريكية[1]. كما يتفقون على اعتبار قصيدته الأشهر "ترتدي القناع" **We Wearthe Mask** (1895) قصيدة تعبر بعمق عن التجربة السوداء.

نجد كذلك المؤلف والكاتب والناشط السياسي الأمريكي ذو الأصل الإفريقي "تشارلز وادل تشيسنوت" (1858–1932)، الذي اشتهر برواياته وقصصه القصيرة للكشف عن القضايا المتعلقة بالهوية العرقيّة والاجتماعيّة في فترة ما بعد الحرب الأهلية، استخدم بدوره هو أيضا العامية الإفريقية الأمريكية في مجموعة قصصه القصيرة "الساحرة" (1899)، وتناول المشاكل العنصرية لتلك المرحلة بشكل مباشر وأوضح في مجموعته "زوجة شبابه"[2] .

ويشكل ثراء ثقافة الأفارقة الأمريكيين ومشكلة خط اللّون الموضوع الرّئيسي للكتابات التي انتشرت مع نهاية القرن التّاسع عشر، عندما انتقل عدد كبير من السود من الجنوب نحو الشمال، وبعد أن تحسن وضعهم بعض الشيء عما كان عليه. بدأ بعض الكتاب السود النضال من أجل تحقيق العدالة والمساواة، وعلى الصعيد الأدبي أصدر(و.اي.ب.دوبويس1963،1767) كتابه الذي يحمل عنوان(أرواح الناس السود) «فهو يصف آثار التعصب الأمريكي الأبيض على عقول السود، كما أنه يصف وللّمرة الأولى في تاريخ الأدب الأمريكي– ثقافة الأمريكيين السود الخاصة. هذه الثقافة التي وحدتهم في إطار " أمة " واحدة . واستخدم (دوبويس) موضوع (الثقافة القومية للسود)

[1]– انظر نلووف.ك.نوريس.ج.اوزيورن، موسوعة كامبردج في النقد الادبي، ص362.

[2]–انظرالمرجع نفسه، الصفحة نفسها.

في روايته (البحث عن الصوف الفضي) الصادرة عام 1911 و(الأميرة السوداء) الصادرة عام 1927؛ وخلال الثلاثينات أصبحت قارة افريقيا مثار اهتمامه، خاصة وإن كان يراها الموطن الأساسي للسود من الناحيتين الثقافية و الروحية»[1]

يجمع كتاب "أرواح الناس السود" بين أشكال متعددة من الكتابة، ففي مقدمة الكتاب أعلن "ديبوا" عن مشكلة حد اللون، حيث نجده وضع في بداية كل فصل اقتباسان، واحد من شعر البيض و الثاني يمثل حياة السود، كدليل على المساواة الفكرية والثقافية بين الثقافتين، كما يطرح مفهوم "الوعي المزدوج" والذي يعد الموضوع الأساسي للكتاب والذي ظهر نتيجة لتعدد أشكال العنصرية التي كان يعامل بها الأفارقة الأمريكيون، والمقصود بذلك الوعي كما يشرحه ديبوا **«الإنتماء إلى ثقافتين متعارضتين، الثقافة الإفريقية...والثقافة الأوروبية التي فرضتها أمريكا البيضاء»**[2] ونتيجة لذلك يشعر الإنسان أنه اثنان، أمريكي وزنجي، وينطوي ذلك الوعي أحيانا على لغتين، اللغة الإنجليزية العامية السوداء وتسمى(إيبونيكس**Ebonics** أو الإنجليزية الأمريكية الإفريقية العامة)[3] المستعملة في المنازل وبالرغم من أنها تتوفر على جميع معايير اللغة الحقيقية، إلاّ أنها كانت مرفوضة من قبل العديد من البيض باعتبارها لغة انجليزية دون المستوى وليس معترفا بها، ويواصل ديبوا قائلا **«إنه رغم ازدراء أمريكا للزنجي، فلن يتركها تغمر روحه وتصبغها بلونها الأبيض، لأنه يعلم أن الدم الزنجي يحمل إلى العالم**

[1]–بيتر هاي، موجز تاريخ الأدب الأمريكي،ص267.

[2]– النظريات النقدية المعاصرة، ص342.

[3]– المرجع نفسه، ص 443

رسالة، وهو ببساطة يرغب في أن يصبح متاحا أن يكون المرء زنجيا وأمريكيا دون أن يلعنه الآخرون أو يبصقوا عليه، ودون أن تغلق أبواب الفرصة بعنف في وجهه»[1]

ومع اقتراب نهاية حياته «**كتب "دو بويس" دراسة كاملة تقريبا عن أمريكا وذلك من خلال ثلاثيته التي أصدرها بين عامي (1957-1961)بعنوان الشعلة السوداء**»[2] التي صور فيها بدقة تاريخ الأمريكيين السود خلال الستين سنة الأولى من القرن العشرين، وتقدم السيرة الذاتية لرجل ملون (1912) لجيمس ولدون جونسون «**تأملا في شكل روائي لذلك الإلتباس الذي رأى "ديبوا" أنه يشكل إحساس الإفريقي الأمريكي بنفسه، مستشهدا بقصة افريقي أمريكي فاتح اللون، يسعى للتوحد مع شعب يعامله معاملة أسوء من تلك التي يعامل بها الحيوان**»[3] ليبرز من خلالها تعسف واعتباطية خط اللون.

2-3 الحركة الزنجية الجديدة (نهضة هارلم):

هي نهضة ثقافية ظهرت في العشرينيات من القرن العشرين، عرفت "بنهضة هارلم **HarlemRenaissance**" نسبة إلى حي "هارلم" بنيويورك «**كتعبير ثقافي لرفض الثقافة البيضاء، ولإيجاد آليات تدعو لفخر الإنسان الأسود بثقافته**»[4] مثلت النهضة ولادة جديدة من الإبداع الأمريكي الإفريقي، من خلال الإنتاج الفكري الأدبي

[1]-W.E.B. Du Bois, **The Souls Of Black Folk,Essays And Sketches**.Eds And Intro,Davidw,Bligh And Robert Gooding-Williams(Boston :Bedford Books ,1997)p38-39

[2]- بيتر هاي، موجز تاريخ الأدب الأمريكي، ص286.

[3]- بيتر هاي، موجز تاريخ الأدب الأمريكي، ص 286.

[4]- باسم رزق عدلي رزق، **إفريقيا والغرب (دراسة لآراء المفكر الأفريقي اللاتيني وولتررودنى)**، تقديم: إبراهيم نصر الدين، مركز البحوث العربية والأفريقية، (د،ط)، القاهرة، 2010، ص11.

والفني والموسيقي. تناولت الكتابة الأدبية لتلك الفترة موضوع الهوية العرقية والتراث الثقافي، وعملت على تمجيد الممارسات الثقافية للأفارقة الأمريكيين من رقص وموسيقى وأغاني؛ وفي العشرينيات وبداية الثلاثينيات **«لعب جونسون دورا قياديا في التمهيد لهذا الازدهار الثقافي، من خلال كتابه "الشعر الزنجي الأمريكي" (1922) ، الذي ركز فيه على أهمية الأدب في الكفاح من أجل تحقيق المساواة العرقية»**[1]، ويؤكد جونسون **«أن إظهار الزنوج نديّتهم الفكرية من خلال إنتاج الأدب والفن»**[2] غيرّ من الأوضاع الاجتماعيّة في أمريكا، وتعدّدت مهمة الأفارقة الأمريكييّن من إظهار القدرة على القراءة والكتابة إلى إظهار التميز الأدبي من خلال كتاباتهم، وقد قاسم مثقفون وسادة وأدباء جونسون قناعته بأن الامتياز الأدبي للأفارقة الأمريكيين يستطيع أن يغير المواقف العنصرية مع مرور الوقت وكان من هؤلاء ديبوا آلين لوك.

قاد هذه الحركة الأدبية مجموعة من الكتاب والفنانين من الجيل الجديد المعاصر، الذين اعتزوا بهويتهم الأفريقية الأمريكية، كانوا يتطلعون للقضاء على مفهوم التمييز العنصري وتحقيق المساواة والعدالة في المجتمع الأبيض، وقد أصّر هؤلاء الكتاب على تحسين مضمون وشكل أعمالهم، و من أهم وأبرز الكتاب السود في تلك الحقبة، **«"جان تومر" (1894–1967) صاحب كتاب «قصب السكر Cane الصادر عام (1923) الذي يعد النص الأكثر تأثيرا في تطور الجماليات الأدبية**

[1]–انظر نلووف.ك.نوريس.ج.اوزيورن، موسوعة كامبردج في النقد الادبي، ص363.

[2]–James Weldon Johnson, **«"Preface" The Book Of American Negro Poetry**(1922) in Gates and Mackay(eds), The Norton Anthlogy,p 861.

السوداء»[1] وصفه إليوت بأنّه الكتاب الذي استعاد جمال ومعاناة حياة الأفارقة الأمريكيين في الجنوب، وقد جاء هذا الكتاب احتفالا باسترجاع الهوية العرقية للزنوج التي كانت ضحية للاضطهاد والقمع العنصري.

يمزج الكتاب بين الشعر والقصص القصيرة والمسرح، يحاول تصوير الثقافة الشعبية وتقديم الصوت الأسود للجنوب المهمش «**يدور الجزء الأول حول النساء السود في الجنوب»**[2] حيث نجده يصف فتاتان تقومان بتمشيط شعرهما عند الصباح وهو يصف جمالهن الطبيعي قائلا:

تجثوان هناك بعيون مثقلة داكنة...

أميرتان في افريقيا تتوضآن في الصباح الباكر

لتؤديا طقوس الصلاة [3]

وفي الجزء الثاني من الكتاب ينتقل "تومر" من الجنوب إلى واشنطن «**مستخدما اللغة التجريبية لأدب العشرينات. في المدينة لا يمكن للسود أن يشعروا بالراحة والحرية»**[4]ويعتبر هذا الكتاب الأكثر تأثيرا في تطور الجماليات الأدبية السوداء حتى أن

[1]–انظر نلووف.ك.نوريس.ج.اوزيورن، موسوعة كامبردج في النقد الأدبي، ص365

[2]–بيتر هاي، موجز تاريخ الأدب الأمريكي، ص269.

[3]– بيتر هاي، موجز تاريخ الأدب الأمريكي، ص269.

[4]– المرجع نفسه، ص269.

الناقد الشهير "ويليام ستانلى بريثويت" رأى في جين تومر مؤلف الكتاب **«نجمة مشرقة أضاءت صباح يوم جديد في حياة الأفارقة الأمريكيين وأدبهم»**[1].

كانت الفترة التي امتدت خلال العشرينات تعرف باسم عصر الجاز، وموسيقى الجاز ارتبطت بتجارة الرّق والعبودية، فهي تجسد رحلة العبد الإفريقي نحو العالم الجديد ثم نضاله من أجل الحصول على حريته، هذا النوع من الموسيقى ابتكره السود الجنوبيون **«ولأول مرة، أصبحت أسماء الموسيقيين والكتاب السود تحظى بشهرة واسعة بين أوساط الأمريكيين...وكان هؤلاء الكتاب البارعين – ضمن إطار حركة نهضة هارلم– قادرين على خلق أعمال ذات نوعية (خاصية) فنية عالية»**[2]

ويشكل شعر "لانغستونهيوز" (1902–1967) أحد أشهر كتاب نهضة هارلم وشعرائها، الحجر الأساس للجماليات السوداء **«لقد حاول هيوز وهو يبتعد عن القوالب الشعرية التقليدية أن يحاكي إيقاعات وأصوات موسيقى الجاز وأغاني البلوز، وكان هيوز يعتقد أن في موسيقى الجاز ممارسة تعبيرية تجسد التجربة السوداء في أمريكا وتعرفها»**[3]

لم يذهب "هيوز" في أعماله إلى مهاجمة المجتمع الأبيض بشكل مباشر بسبب التفرقة العرقية، وإنما كان يبعث احتجاجاته بشكل رقيق أقرب إلى التمنيات ففي قصيدته (أناأيضا) الصادرة عام 1925 م يقول:

أنا أيضا أغني أمريكا

أنا الشقيق الأسود

---

[1]– ك.نلووف.ك.نوريس.ج.اوزيورن، موسوعة كامبردج في النقد الأدبي، ص365.

[2]–بيتر هاي، موجز تاريخ الأدب الأمريكي، ص269.

[3]–ك.نلووف.ك.نوريس.ج.اوزيورن، موسوعة كامبردج في النقد الأدبي، ص365–366.

يرسلونني إلى المطبخ لأتناول طعامي

حينما يأتي الضيوف[1]

[1] بيتر هاي، موجز تاريخ الأدب الأمريكي، ص27

الفصل الثاني
الأدب الأمريكي

المبحث الأول: التعريف بالكاتبة

1-هارييت بيتشر ستو ولادتها ونشأتها

هارييت بيتشرستو Harriet beecher stoweإنّها الكاتبة الأمريكية الشهيرة، والناشطة الأكثر حماسة في مجال حركات التحرّر من الرّق والعبودية. وهي الشخصية المؤثرة في كتاباتها حينما كان لها وقفاتها العلنية في تناول القضايا التي كانت تهم مجتمعها آنذاك.[1]

كانت ستو بمثابة رأس رمح العديد من المجموعات التي احتشدت لأجل الدفاع عن حقوق الآخرين. كان صوتها أقوى سمة لها، إذ أنها بَنت مصداقيتها في مجتمع لا تتمتع فيه النساء بالقوّة أو السلطة، وكانت قادرة على جذب الكثير من المتابعين.[2]

ولدت الكاتبة "هارييت بيتشرستو" **Harriet Beecher Stowe** في الرابع عشر من شهر يونيو عام 1811م ب"ليتشفيلد" **Litchfield** بولاية "كونيتيكت" **Connecticut**،شمال شرق الولايات المتّحدة الأمريكيّة، تنحدر "ستو" من عائلة جدّ متدينة، والتي ساعدتها في تشكيل خلفيتها التعليمية والاجتماعية، كانت الابنة السابعة من بين ثلاثة عشر طفلا، كان والدها أحد رعاة الكنيسة والذي عرف بشجاعته في

[1]-هارييت بيتشر ستو، كوخ العم توم، تر: وفيق صفوت مختار، دار الطلائع، القاهرة، ديسمبر، 2016، ص5.

[2]-PadalinoAlixandra, Hedrick, Joan D. Harriet Beecher Stowe : Alife Biography Paper, Sacred Heart University, 2015.

إبداء رأيه، أمّا أمّها "روكسانا"**Roxana** كانت امرأة شديدة التدين وصاحبة ثقافة عالية.[1]

2-هارييت بيتشر ستو في شبابها

كان لها شقيقة تدعى "كاترين بيتشر"**Catherine Beecher** التي كانت معلّمة وكاتبة، بالإضافة إلى عدد من الاخوة الذين صار بعضهم قساوسة فيما بعد، من بينهم"هنري بيتشر" **Henry Beecher** وهوأحد المعارضين البارزين للعبودية.

في هذه البيئة الواعية المكافحة نشأت "هارييت" وأحسّت منذ طفولتها بروح الحرية تسري في أعصابها. ولكن هذه الطفولة السّعيدة سرعان ما نراها تتعرّض لضربة قاسية من ضربات القدر، فيد الموت التي لا ترحم تغتال الأم المثالية المضحية و"هارييت" لم تتجاوز بعد الخامسة من عمرها، وإثر وفاة أمّها رحلت "هارييت" لتعيش مع جدّتها، ثمّ عادت إلى "نيو أنجلاند" بعد زواج أبيها للمرّة الثانية.[2]

في سن السابعة برهنت "هارييت" على أنّها تملك ذاكرة وموهبة ساطعة فقد كانت مولعة بقراءة وتحصيل المعارف إلى حدّ بعيد فقد كانت مكتبة والدها مقصدها للبحث عن الغذاء الفكري. وفي عام 1823م حينما بلغت سن الثانية عشرة التحقت بمدرسة السيّد "جون دريس"**John Drees**. كان مربيا ذا شهرة ومكانة وفضل،

[1]-Charles Edward Stowe, The Life Of Harriet Beecherstow, Hatford, 1889, p17.

[2]- ينظر؛ هارييت بيتشر ستو، كوخ العم توم، تعريب: أكرم الرافعي، دارالعلم للملايين، ط6، بيروت، 1979، ص6.

فظهرت براعتها وذكاؤها في التعبير والدقة في الإنشاء. وفي يوم الاحتفال بانتهاء العام الدراسي كانت الفائزة الأولى، وفي العام التالي أثبتت جدارتها العلمية واستطاعت القيام بتدريس الفلسفة الأخلاقيّة في نفس المدرسة. إلاّ أنها احتفظت باستقلالها الفكري الذي أدى بها إلى ولوج عالم الأدب الصاخب بكلّ التيارات الفكرية المتعارضة وقد تحوّل هذا الاستقلال إلى نوع من الثورة الفكرية التب بلغت قمتها في روايتها الخالدة "**كوخ العم توم**" والتي هي موضوع دراستنا.[1]

3-هارييت بيتشرستو والكتابة الأدبية

ظهرت بواكير الموهبة الأدبية عند "هارييت" وهي لم تزل في سن مبكرة، ففي عامها الحادي عشر كتبت مقالا تجيب فيه عن هذا السؤال: هل يمكن أن نهتدي بظواهر الطبيعة في البرهنة على خلود الروح ؟.[2]

بدأت مهنة ستو الأدبية خلال عام 1820 إلى جانب ميلها إلى الأدب والكتابة، ويمكن القول أنّ إهتمام "ستو" بالأدب ورثته عن والدتها وفقا لما قاله "ليان جيليتلي" **Lee Anne Gelletly** في كتابه "هارييت بيتشر ستو مؤلفة كتاب "كوخ العم توم" **HarrietBeecherStowe : Author Of UncleTom's Cabin**، كانت روكسانا فويت امرأة تقرا جيدا وتستمتع وهي تقرأ الكتب.[3]

---

[1]- ينظر، هارييت بيتشرستو، كوخ العم توم، ص6-7-8.

[2]- المصدر نفسه، ص9.

[3]-Sara Yakhlef,**A New Historicist and Comparative Study of Harriet Beecher Stowe's Uncle Tom's Cabin and Alan Paton's Cry**, The Beloved Country, Adissertation submitted in partial fulfilment of the requirements for a master's degree in literature and civilization, Abderrahmane Mira University of Bejaia,2018-2019, p25.

وحينما بلغت الخامسة والعشرين من عمرها انتقلت هي وشقيقتها "كاترين" مع والدهما إلى "أوهايو" **Ohio** المدينة التي تقع على الحدود بين الشمال والجنوب في الولايات المتّحدة الأمريكيّة فكانت هذه فرصة لها أن ترى بعينها حالة العبيد في الجزء الجنوبي من البلاد، حيث أسّستا هي وشقيقتها مدرسة هناك في ضاحية المدينة، وعملت كمدرسة فيها.[1]

كان انتقال عائلة بيتشر من كونيتكت إلى سينسيناتي في عام 1832، أحد العوامل الرئيسية في حياة ستو الشخصية والمهنية، كان وصولها إلى "أوهايو" بمثابة نقطة محورية في حياتها الشخصية، حيث تلتقي "هارييت" في "سنسناتي" بالكاهن "كالفن ستو" **Calvin Stowe** وتتزوّج منه في السادس من شهر يناير عام 1836م لتأخذ منه لقب "**ستو**"، وقد لعب زوجها دورا مهما في حياتها عندما أدرك قيمة موهبتها الأدبية وشجعها على الاستمرار في الكتابة لأنّه كان محبّا للعلم والمعرفة بحكم عمله كأستاذ، وكانا الزوجان من الداعمين والمؤيدين لفكرة خطوط السكة الحديدية تحت الأرض.[2]

لم تكن حياة ستو سهلة البتّة؛ فكثيراً ما واجهت المصاعب والخسارات على صعيد مآسيها الشخصية، والتي كانت الحلقة المُكرّرة في حياتها، كانت تعريف للأم العاملة الحديثة، كتبت العديد من الروايات، الشعر، والمجلات لأجل مساعدة عائلتها

---

[1]–PadalinoAlixandra, Hedrick, joan D. **harrietbeecherstowe : Alife biography paper.**

[2]– Janet kong-chow,**Harriet Beecher Stowe's Letters**, 1868 : A study, journal of the Penn manuscript collective, article 7,2017, p 1.

المتكونة من سبعة أطفال، كما لعبت المصاعب التي واجهتها دور العامل المحفّز في حياتها المهنية فكانت مصمِّمةً على النجاح لأجل عائلتها، وقد ساعد عملها قبل الحرب الأهلية وبعدها، على تشكيل تاريخ أمريكا[1].

4- هارييت بيتشر ستو ومساندتها لقضية إلغاء الرّق والعبودية:

لم تتمتع المرأة بالحقوق التي تعتبر حريات بديهيةً اليوم والتي غالبًا يتم تجاهلها، مثل الحق في التصويت أو حرية الفرد خلال الزواج. لكن ستو عملت بجد لتحقيق النجاح في مختلف القضايا الاجتماعية في زمن لم يكن فيه الأدب مهنةً محترمة أو مربحة كانت حياتها مهمة بشكل خاص لأنها لم تسمح لمعايير تلك الحقبة الزمنية بتحديد كيانه، خلال حياتها غيّرت بشكل ملحوظ وعميق مسار التاريخ الأمريكي، من خلال عملها كمتحدثة وكاتبة على حدٍّ سواء.[2]

كانت قضية الرق تهز النفوس في أرجاء القارة كافة، وبما أن مدينة "سنسناتي" كانت تقع بالقرب من الولايات الجنوبية للعبيد فقد أصبحت مرفأ للأفكار التحرّرية العاصفة.

كان العبيد يهربون إلى "أوهايو" الولاية الحرّة، فتمدّ لهم "هارييت" يد المساعدة، وحينما حاولت الصحافة المحلية أن تلجأ إلى المناداة بحلّ عادل للقضية تعرّضت

[1]–PadalinoAlixandra, Hedrick, joan D. **Harriet Beecher Stowe** : Alife Biography Paper.

[2]– PadalinoAlixandra, Hedrick, joan D. **Harriet Beecher Stowe : Alife Biography Paper.**

مطابعها للتحطيم أكثر من مرّة، كما تعرّض الكثير من بيوت الملونين للحرق والتدمير.[1]

في عام 1851م، توفي "تشارلي" ابن "ستو" البالغ من العمر ثمانية عشر سنة بسبّب الكوليرا، وقد جعلتها مأساة فقد ابنها على فهم شعور أمهات الرقيق اللواتي تمّ انتزاع أطفالهم منهم وبيعهم، بما أنّ كليهما عانيا من فقدان أطفالهما بطريقة أو بأخرى ومن هنا أصبحت "ستو" مدركةً أكثر لمعاناة أباء الرقيق .[2]

5- هارييت بيتشر ستو في أيامها الأخيرة.

عقب وفاة زوجها "كالفن ستو" في عام 1886م تدهورت صحّة "هاريت" بشكل ملحوظ، وقد تحدّث الأديب الكبير "مارك توين"**Mark Twain**(1835-1910) جار "هارييت" في "هارتفورد"**Hartford** عن الأعوام الأخيرة في حياتها في الفقرة التالية من سيرته الذاتية: « لقد اضمحل عقلها، وصارت شخصية مثيرة للشفقة، كانت تتجوّل طوال اليوم في رعاية امرأة ايرلندية شبيهة برجل، ما بين المستعمرين، وكانت أبواب بيتها دائما مفتوحة عندما يكون الجو جميلا. وكانت دائما ما تتسلل بخفة حيث تستطيع أن تتعامل مع المفاجآت بل وأحبّت أن تصنعهاّ فمن الممكن أن تتسلل وراء شخص يغط في الأحلام أو التأمّلات وتصدر صوت مثل صيحة في حرب ممّا يجعل الشخص يقفز من ملابسه. وكان لها أمزجة أخرى أيضا، ففي بعض الأحيان كنا نسمع موسيقى

[1]- ينظلر؛ هارييت بيتشر ستو، كوخ العم توم، ص10.

[2]-PadalinoAlixandra, Hedrick, joan D. Harriet Beecher Stowe : Alife Biography Paper.

هادئة من غرفة الرسم الخاصّة بها، ونجدها هناك تعزف البيانو، وتغني أغاني قديمة وحزينة بصوت مؤثر بشكل لا يوصف»

و الباحثين المحدثين اليوم يخمنون أنّ "هارييت" عانت من مرض الزهايمر في نهاية حياتها.[1]

امتدت حياة هارييت بيتشر ستو لمدة خمسٍ وثمانين عامًا؛ وتوفيت في الأول من شهر ماي عام 1896، في "هارتفورد" ودفنت في المقبرة التاريخية بـــ "ماساتشوستس"**Massachusetts**.[2]

[1]– ينظر؛ هارييت بيتشر ستو، كوخ العم توم، ص12.

[2]–PadalinoAlixandra, Hedrick, joan D. Harriet Beecher Stowe : Alife Biography Paper.

المبحث الثاني: ظروف تشكل الرواية

1-ظروف تنزيل الرواية.

من أهم أعمالها الأدبية رواية "**كوخ العم توم**" والتي صدرت في عام 1852م وقد بيع منها ثلاثة آلاف نسخة في الأيام الأولى لصدورها، وأكثر من ثلاث مئة ألف نسخة في العام الأوّل، وبين 1852م و1860م طبعت الرواية في حوالي 32 لغة.[1]

التقت "ستو" في بوسطن أحد الزنوج ويدعى "جوسياه هانسون" الذي حكى لها عن كفاحه الطويل، وكيف كان سيده يجلده بوحشية حتى كسر كتفه الأيمن وأصيب بالشلل في ذراعيه، هذا ما جعل الكاتبة تؤمن أكثر بقضية تحرير الزنوج من الرق.[2]

وكان السبب المباشر الذي دفعها لكتابة هذا العمل الخالد أنّها في صباح يوم من الأيام عام 1851م وهي تصلي في الكنيسة وفجأة رأت فيما يشبه الرؤيا عبدا أسود اشتعل رأسه شيبا يجلد بالسياط في قسوة لا نظير لها، وقد ظلّ العمال يجلدونه بأوامر من سيّدهم الأبيض العنصري حتى فاضت روحه، وهو يبتهل إلى الله أن يغفر لجلاديه[3].

وبعدها بدأت "هارييت" تكتب هذا الحلم وتصف آلام العبد، فمضت المؤلفة تكتب الرواية فصلا فصلا، وكلّما فرغت من فصل نشرته، فلم تلتفت الأنظار للرواية إبان نشرها على حلقات متتابعة، لكنها لم تكد تجمع في كتاب واحد حتى طار ذكرها في

---

[1]–PadalinoAlixandra, Hedrick, joan D. Harriet Beecher Stowe : Alife Biography Paper.

[2]– ينظر، هارييت بيتشر ستو، كوخ العم توم، ص.11

[3]– ينظر، المصدر نفسه، ص15.

الآفاق، في الأصل استخدمت "هاريت" عنوانا فرعيا هو: "الرّجل الذي كان مجرّد شيء"**The Man That Was A Thing**، ولكنها استبدلته بعد ذلك بعنوان "الحياة وسط الوضعاء"**Life Among The Lowly**. نشرت الحلقات أسبوعيا في الفترة ما بين الخامس من يونيو لعام 1851م حتى الأول من أبريل لعام 1852م.[1]

بعد ذلك نشر "جون. ب جويت"**JohnP. Jewett** "**كوخ العم توم**" على هيئة كتاب في العشرين من مارس عام 1852م بطبعة أولى ضمت خمسة آلاف نسخة. كل مجلد من مجلدي الكتاب ضم ثلاثة رسوم إيضاحية وصفحة للعنوان. صمّمها "هامات بلينجز"**Hammatt Billings**. وفي أقل من سنة تم بيع عدد غير مسبوق من نسخ الكتاب وهو ثلاثة مائة ألف نسخة.[2]

2- موضوع الرواية.

كانت أبرز الإنجازات التي حققتها **هاريت بيتشر ستو** هو نشر روايتها "**كتاب العمّ توم**"، وهو كتاب مناهض للعبودية، يروي قصة عبد اسمه توم، ولم تقتصر الفكرة الرئيسية للرواية حول العمّ" توم "، بل قدّمت سلسلة من الأحداث الدامية لحياة العبيد في المزارع في الجنوب الأمريكي الذي يتبنى الرّق والعبودية والاستبداد.

كتبت هارييت هذه القصة قبل تحرير العبيد، في القرن التاسع عشر، وعبرت **ستو** من خلالها عن قضية الرّق والعبودية، الواقع الذي سخطت عليه وحاولت بكل جهودها تغييره، حيث كان العبد لا يتمتع بأي حقوق إنسانية، كالحق في الزواج وتكوين

[1]- ينظر؛ هارييت بيتشر ستو، كوخ العم توم، ص 15.

[2]-ينظر؛ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أسرة، وكانت ترتكب الجرائم في حقه تحت عين السلطة وبسيادة القانون، بالإضافة إلى نظرة الاحتقار والدناءة التي كان يرمقهم بها الأسياد.

وقد استطاعت الكاتبة أن ترسخ مكانتها في الأدب الأمريكي بفضل واحدة فقط من رواياتها التي مازالت تقرأ إلى الآن، ومن هنا وقع اختيارنا لها ووضعناها تحت الدراسة والتحليل كونها تعد من روائع الأدب العالمي.

تدور أحداث القصة حول عبد زنجي يدعى " **العم توم** " الذي نعرف من خلال الرواية أنّه كان من الناحية الشكلية ضخم الجسم، يتمتع ببنية قوية وصدر عريض، وبلونه الأسود الذي ينم عن أصوله الأفريقية، كان يعمل خادما لدى السيد شلبي ويقوم بإدارة المزرعة بأكمل وجه، كان العم توم مخلصا في عمله حسن التدبير.

في أحد الأيام اضطر السيد " شلبي" لبيع العم توم إلى السيد " هالي" بمقابل دين كان يتوجب عليه دفعه له، فوافق بشرط أن يأخذ معه " جيم " ابن أليزا وهي امرأة كانت قد نشأت في عائلة شلبي، وعندما سمعت أليزا كلامهما عن بيع العم توم وابنها قررت الهرب ونصحت العم توم بالهرب أيضا، لكن العم توم رفض الهرب وأصر على البقاء وفاء لسيده، بينما آوت عائلة معارضة للرق " أليزا وابنها "، والتقت أليزا مع زوجها " جورج " الذي فرَّ من العدالة وتوجها سويا إلى كندا.

وهكذا يتنقل توم بين السادة بمختلف شخصياتهم ويعاني الأمرّين في رحلته، ينطلق السيد جورج ابن السيد شلبي للبحث عن توم واسترجاعه، لكنه يجده على فراش الموت يلتقط أنفاسه الأخيرة، فيموت العم توم قبل أن يستطيع إنقاذه.

تجسد شخصية العم توم شخصية العبد المناضل والمقاوم الذي لا يعبر عن رأيه ومعاناته فقط بل عن أراء مجتمع كامل ساهم في تغيير التاريخ ورسم بفكره مستقبلا مشرقا للجميع، كما تكشف القصة عن باقي قصص العبيد المستضعفين ومعاناتهم بدءا من سوق النخاسة وحتى الموت.

وقد تمثلت الخلفية لكلّ هذه الأحداث في مزارع القطن والقمح وغيرهما من المحاصيل التي أنتجها أصحاب الأراضي البيض في الجنوب الأمريكي، واستخدموا فيها العبيد لكي يستخرجوا كل ما يمكن أن تأتي به.

في هذه الرواية أثبتت الكاتبة لأهالي الشمال أن الرّق نظام يتنافى مع أبسط المبادئ والقيم الإنسانيّة، أمّا الجنوب الأمريكي فكان ينضح بالكراهية والعداء للرواية وصاحبتها. وقد شن الإقطاعيين في الجنوب على الكاتبة حملات إعلامية ضارية، كما تلقت رسائل تهديد بدون توقيع، ومع ذلك ظلت تدعم قضية العبيد بالعائد المادي الذي كسبته من نشر مؤلفاتها[1].

3- اللقاء التاريخي بين الكاتبة والرئيس أبراهام لنكولن.

عندما زارت "هارييت بيتشر ستو" الرئيس الأمريكي " أبراهام لنكولن " المحرّر الأعظم للعبيد، ذات يوم من أيام عام 1862م في البيت الأبيض، وقف في تبجيل واحترام لهذه المرأة التي قدر لها أن تهز بروايتها الخالدة " **كوخ العم توم** " ضمير العالم، وتجنّد الرأي العام الأمريكي ضدّ الظلم الساحق النازل بالزنوج، وأن تكون

[1]- ينظر؛ هارييت بيتشرستو، كوخ العم توم، ص18.

الموحية والمدافعة لحرب تحرير العبيد الأهلية التي انتصرت فيها الولايات الشمالية على نظيراتها الولايات الجنوبية قال: « أهذه أنت أيتها السيّدة الصغيرة التي سببت كل هذه الحرب الكبيرة؟ »[1].

ثم استطرد يقول: « حسنا، إنّني لسعيد بأن أرحب بك بوصفك مؤلفة تلك الرواية العظيمة»[2].

[1]– ينظر المصدر نفسه، ص23.

[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

المبحث الثالث: الأنساق الثقافية في رواية كوخ العم توم (نسق العبودية)

1- الشخصيات

عادة ما تكون الشخصيات هي لسان المؤلف الذي ينقل من خلالها آرائه ووجهات نظره فيما يتعلق بالقضايا الاجتماعية والثقافية المختلفة، تكشف لنا " هارييت بيتشر ستو " في رواية " **كوخ العم توم** " والتي هي موضوع دراستنا، من خلال مجموعة من الشخصيات البيضاء والسوداء مواضيع العبودية والفصل العنصري من وجهة نظر الظالم والمظلوم.

- **أرثر شلبي:**

يمثل أحد الشخصيات البيضاء، مالك عبيد يعيش في منطقة تدعى " كنتاكي "، وهو أيضًا سيد العم " توم " بطل الرواية. رجل من الأسياد والشرفاء يعامل عبيده بطريقة إنسانية نسبيا، رجل طيب وله ضمير، يعتمد في معاملة عبيده على العطف واللطف والإحسان.

يتسبب له سوء إدارته للشؤون المالية في الوقوع في الديون، فيضطر السيد شيلبي مكرها خرق كلمته ومدونة أخلاقه وبيع اثنين من عبيده لتاجر عبيد من الجنوب لسداد ديونه، وبعد عدة مفاوضات مع تاجر العبيد السيد "هالي" تم بيع العم توم وابن الخادمة "إليزا"، "هاري". الأمر الذي أغضب زوجة السيد شلبي " ايميلي شلبي "

- **السيدة إميلي شلبي**

زوجة السيد آرثر شلبي امرأة مسيحية متدينة تتوق وتحرص بشدة لنشر المذاهب والقيم المسيحية في أرواح عبيدها، تتصف بالورع والتقوى، وكانت كريمة كل الكرم مع عبيدها، شأنها شأن زوجها، متفائلة تملك في قلبها شيئا من الرقة والعطف والحنان، تتحمل مسؤوليتها تجاه عبيدها وأرواحهم على محمل الجد، كثيرا ما تساعد عبيدها في الأعمال التي يقومون بها، وتقدم يد المساعدة والعون لكل من هو بحاجة إليها، تشعر بحزن عميق على نظام العبودية الظالم والوحشي، وتكشف صراحة عن استيائها من جميع نتائجه. عندما يعرب لها السيد شلبي عن نيته في بيع " توم " و"هاري "، تغضب كثيرا وتوبخ عمل زوجها بلا رحمة، بدافع الشفقة والندم، وتّعد "توم" وعائلته بأنها ستعيد شرائه من السيد "هالي" بمجرد أن تجمع المبلغ الكافي من المال.

- **جورج شلبي**

نجل الزوجين شلبي، تصوره لنا الرواية في الفصول الإفتتاحية على أنّه يبلغ من العمر ثلاث سنوات، شاب طيب، كان جورج هو أقرب أصدقاء العم توم، يتولى مهمة تعليم "توم" كيفية القراءة والكتابة، هو الآخر يثار سخطه عندما يدرك أن "توم" سيباع للسيد "هالي"، تمامًا مثل والدته ، يتعهد بالعثور على توم عند بيعه، كما يؤكد جورج للعم "توم" أنه سيشتري حريته في اللحظة التي يجد فيها سبيلًا إلى ذلك.

بعد وفاة والده ، يتولى جورج مسؤولية المزرعة، أثناء غياب العم توم، وبعد سنوات عديدة يكتشف جورج أن توم يعيش في مزرعة لوغري، يسافر على الفور

لمقابلته، لكنه يصل متأخرا، يجد توم في حالة صحية متدهورة للغاية، يلفظ في أنفاسه الأخيرة، فيمنحه دفنا لائقا، ويعده بإطلاق سراح جميع العبيد في مزرعة كنتاكي، وتكريس نفسه للعدالة وعند عودته إلى المنزل يحرر جورج جميع العبيد، ويجعل يوم وفاة توم وقبره معلما ليبقى كذكرى.

من بين الشخصيات السوداء التي اختارتها هارييت بيتشر ستو، هنا يمكننا الإشارة إلى شخصية العم " توم "، الشخصية الرئيسية في الرواية والتي سميت على اسمه.

- **العم توم:**

عبد زنجي أمريكي يعمل لدى عائلة "شيلبي" في ولاية كنتاكي، والذي نعرف من خلال الرواية أنّه قوي جسديا مفتول العضلات، عريض المنكبين والكتفين «**كان رجلا متيت البنيان، ذا صدر عريض، وأطراف مفتولة قوية، ولونه كالأبنوس اللمّاع**»[1] عرف بطيبة قلبه وإخلاصه لسيده، صادق في قوله وعمله، حسن الطباع ومتدين، يشتهر بإيمانه الديني الخارق وطبيعته اللطيفة، تدل ملامحه على الإباء وعزة النفس ولرجاحة العقل «**كانت جميع تقاطيع وجهه إفريقية نموذجية، وكانت تعبر عن رصانة وتفكير، يمتزجان بالعاطفية والطيبة. وكان الشعور بالكرامة، الذي تنطق به عيناه، يمتزج بالبساطة الرّضية المطمئنّة**»[2].

بارز كونه صورة نمطية –شخصية طفولية –(وحشية نبيلة)، شخصية مثالية في الخيال العاطفي . يمنحه السيد شيلبي مقصورة يشغلها مع زوجته كلوي وأطفاله،

---

[1]–هارييت بيتشر ستو، كوخ العم توم، ص24.

[2]– المرجع نفسه، ص24–25.

كعلامة على ولائه وإخلاصه، وظهرت أمانته عندما كلفه السيد شلبي للقيام بإحدى المهام التي تتعلق بتحصيل الأموال فأداها بكل وفاء وإخلاص، يقول السيد شلبي في الرواية متحدثا عن اخلاص العم توم «**إنه بالفعل مخلص، صادق، حساس، ورع. لقد أمنّنه على كل ما أملك: المال، والدار، والخيول.. وفي كل مرة وجدته دقيقا مخلصا، إلى أبعد حدّ من الدّقة والإخلاص. مثال ذلك أنني أرسلته، منذ فترة من الزمن، إلى "سنسناتي" ليصرّف لي بعض الأعمال. ويحمل إليّ خمسمئة دولار، وقلت له، "إني أثق بك يا توم، وأنا متأكد من أنك لن تسرقني" وعاد توم كما كنت متوقعا، رغم أنّ بعض الأشقياء قد أوحوا إليه بأن يفرّ بالمال إلى كندا**»[1].

امتلكت شخصية توم المسيحية القوية وسلوكها الصالح حب سيده وزملائه العبيد في المزرعة، لكن سيده اضطر لبيعه اثر أزمة مالية ألمت به، تقوده معتقداته المسيحية أيضًا إلى رفض الانضمام إلى إليزا في هروبها وقبول مصيرهالمأساوي.

إنّ رفض توم الفرار هو دليل على نجاح ادعاءات البيض الدينية التي تهدف إلى رأب عقول العبيد وقمع أي أفكار للتحدي والتمرد.

بعد بيعه للسيد "هالي" ، يغادر توم مزرعة كنتاكي وسرعان ما يشتريه مالك ثري من العبيد يدعى " أوغسطين سانت كلير ". تنشأ علاقة صداقة طيبة بين العم توم والفتاة الشقراء "ايفا" ابنة سانت كلير، تتميز أيام توم بالراحة والحب أثناء خدمته لدى سانت كلير، إن تساهل أوغسطين وشخصية ابنته الحنونة غرست الفرح في حياة توم،

[1]– هارييت بيتشر ستو، كوخ العم توم، ص8.

بعد وفاة إيفا وسانت كلير ، يعرض توم مع العبيد الآخرين للبيع في السوق لينتهي توم في يد "سيمون ليجري"، مالك العبيد العنيف والقاسي.

يمر العم "توم" يمر بمراحل متعدّدة وقاسية من المعاناة والعذاب و الألم، وهذه كلّها عوامل تضيف إلى شخصيته هالات من الوقار والكبرياء والصمود.

على يد سيمون ليجري، يتعرض توم لمعاملة لا إنسانية، حيث يتلقى باستمرار الجلد والضرب المبرح. على الرغم من قسوة ليجري، لا يفقد توم إيمانه ويظل صبورًا في مواجهة كل وحشيته. رفض توم الكشف عن مكان وجود عبيدين هاربين، ويجلد توم حتى الموت.

العم توم شخصية تقبلت الاستسلام وظلم نظام العبودية والخضوع لها من خلال تمسكه بافتراضات البيض فيما يتعلق بالمسيحية، ومن ثم يعتقد أنّه لا يستطيع الحصول على الحرية إلا بالتحلي بالصبر والصلاة لله.

- كلو:

زوجة العم توم، حنونة وطيبة القلب، هي المسؤولة عن أعمال الطبخ و التنظيف في منزل السيد شلبي .

- **إليزا:**

خادمة لدى عائلة السيد شلبي، ذات جمال فائق يظهر في عينيها السوداويتين وشعرها الحريري الأسود، زوجة جورج هاريس ووالدة هاري الصغير، الأم البائسة المخاطرة

التي هربت بطفلها لتلتحق بزوجها "جورج" ولتنقذ ابنها، كانت قريبة من سيدتها وتتفق كثيرا معها، تميزت بالذكاء والشجاعة.

- **جورج هاريس:**

زوج الخادمة أليزا، يعيش في المزرعة المجاورة لمزرعة السيد شلبي، شاب ذكي وموهوب، تعرض للكثير من القسوة والاهانة من طرف سيده، الأمر الذي جعله يفكر في الهروب تاركا زوجته وولده وراءه، يغامر من أجل الحصول على الحرية وبعد عناء ومشقة يجتمع مع عائلته ويأخذهم إلى كندا.

- **هنري هاريس:**

طفل في الرابعة من عمره، ابن الخادمة أليزا وجورج، صبي جميل وموهوب، اتفق على بيعه من طرف السيد شلبي، وهذا ما أودع خيفة ورهبة في قلب والدته، فتأخذه وتهرب.

- **أوغسطين سانت كلير:**

على عكس لوغري سيمون، فإنّ أوغسطين سانت كلير هو سيد متسامح للغاية، إنه زوج ماري ووالد إيفانجلين. أوغسطين هو رجل غني يمتلك عقارًا مهيبًا وفخمًا في نيو أورلينز، وهو مزارع طيب القلب، عطوف على المساكين، محب للأطفال، وقد دافع بشدة عن حقوق العبيد، السيد الجديد للعم توم في نيو أورلينز ووالد إيفا، ابن أحد المزارعين الأثرياء في ولاية لويزيانا، أصل أسرته من كندا، هو مزارع طيب القلب،

عطوف على المساكين، محب للأطفال، وقد دافع بشدة عن حقوق العبيد، يعد العم توم بتحريره لكنه يموت قبل أن يوقع أوراق تحريره.

- **ماري سانت كلير:**

زوجة أوغسطين سانت كلير، امرأة حسناء ذات وجه جميل، لها ثروة مالية كبيرة، إلاّ أنها تتميز بالأنانية واللاإنسانية، وضيعة الأفق متبلدّة الشعور، كانت تكره العبيد وتحتقرهم، وهي التي تسبّبت في بيع عبيدها ومنهم العم "توم" بعد وفاة زوجها مباشرة.

- **إيفانجيلين (إيفا) :**

ابنة أوغسطين سانت كلير وماري، تبلغ خمس سنوات من العمر، فتاة في غاية النشاط والحيوية والذكاء، طيبة القلب، تسخط على وجود العبودية ولا ترى أي فرق بين السود والبيض، كانت تنظر إلى العبيد نظرة إيجابية، لدرجة أنّها أخذت على عاتقها تربية وتعليم زنجية صغيرة بحنو ومحبّة. تتكون علاقة صداقة جيدة بينها وبين العم توم، يسرقها الموت وهي صغيرة شابة بعد معاناة مع المرض.

- **أوفيليا سانت كلير:**

ابنة عم السيد أوغسطين من الشمال، تبلغ الخامسة والأربعين من العمر، قوية الارادة، صاحبة تفكير سليم ومنطقي، كانت هي المكلفة بادارة شؤؤون البيت.

- **السيد ليغري:**

السيد الجديد للعم توم بعد وفاة أوغسطين، يمتلك مزرعة على النهر الأحمر، بالغ القوة، متين البنيان، كان قاسي القلب، عنيف، لا يعرف قلبه الرّحمة، ولم يكن بارا بأمّه أبدا، وكان يحمل بداخله خوفا هلعا شديدين، وهو الرّجل الذي تسبّب في موت العم "توم".

- **سامبووكويمبو:**

أهم العبيد في مزرعة السيد ليغري، يتبادلان نفس شعور الكره لبعضهما، وكانا يبغضان باقي العبيد الذين في المزرعة.

- **كاسي:**

امرأة باسلة شجاعة ذكية، من خدم السيد ليغري، ساعدت توم عندما تعرض للتعذيب من طرف سيده، ذاقت الذل والهوان مرارا حتى انتهى بها الأمر إلى بيع أطفالها، ولكن السماء كانت تحمل لها ولرفيقتها "إميلين" مفاجآت سارة.

2-الأنساق الثقافية

1- نسق العبودية:

يتجلى مفهوم النسق على اعتبار أنه توجه فكري يتجلى في النصوص الأدبية وينطوي تحت لواء الجمالية الفنية (الأدبية)، ويتجلى للقارئ المتمكن من سبر أغوار النصوص الأدبية، والذي يستشف ما وراء الجمالية ليكشف المخبوء منها أو ما يتجلى ما بين السطور.

وتتعد أنواع الأنساق باختلاف التوجهات الفكرية لكل مبدع (روائي، كاتب) والتي تتمظهر في النصوص الأدبية، ومن بين هذه الأنساق، نسق العبودية الذي يتجلى في أبسط مفاهيمه على أنه سلب لحرية الآخر، والتسلط عليه والتحكم في مصيره، ولقد طرحت معاناة الزنوج في الكثير من الكتب النقدية وهذا ما نلحظه في رواية "**كوخ العم توم** " للكاتبة الأمريكية " **هارييت بيتشر ستو** " والتي هي موضوع دراستنا.

حيث تقوم أحداث الرواية على نقل طبيعة المعاناة التي كان يعانيها العبيد في مزارع الأسياد في الولايات الجنوبية للولايات المتحدة الأمريكية، وما يلقونه من تعذيب في صورة تنعدم فيها الإنسانية في أبسط صورها، حيث يباع بطل الرواية ويشترى ليسدد به دين سيده، وكان الضحية فيها " **العم توم** "، حيث شهدت الرواية أحداثا حافلة بمعاناته وقهر انسانيته والحط من كرامته وازدراء وجوده كإنسان حتى، وكأن صفة الإنسانية مقصورة فقط على أصحاب البشرة البيضاء؛ كما استقت الكاتبة معظم شخوصها وأبطالها من العبيد الذين مروا بهذه التجربة وركّبتها دراميا في قالب روائي،

وسرعان ما صدرت الرواية أدت إلى رد فعل واسع داخل أمريكا وخارجها، واعتبرت أكثر الكتب طباعة في القرن التاسع عشر بعد الإنجيل، لأنها ألقت الأضواء على مأساة بشرية كانت تعيشها الولايات المتحدة الأمريكية وتتكّتم عليها، وهذا ما أدى بعد سبع سنوات من نشرها إلى اندلاع الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب الأمريكي.

تعد رواية " **كوخ العم توم** " نموذج صارخ لمركزية الرجل الأبيض (الأنا)، الذي فرض سيطرته وأناه على الآخر الأسود، وأعطى لنفسه الحق في تقرير مصيره واعتبار نفسه الأفضل والآخر لا قيمة له (هامش)، ولقد طرحت معاناة الزنوج الكثير من الكتب النقدية «**والرابطة الجوهريّة الوحيدة التي وجدت بين الزنوج والأوروبيين هي رابطة الرّق**»[1]

ومن خلال دراستنا للرواية برز لنا نسق العبودية بشكل واضح في الرواية من خلال المعاملة القاسية التي تلقاها " العم توم " بطل الرواية من أسياده على اختلافهم عندما كان متنقلا من سيد الى آخر، وهو ما سنوضحه في ما يأتي من خلال أبرز الشواهد التي تجلى فيها نسق العبودية بشكل لافت للانتباه في الرواية.

لقد استهلت الروائية "هارييت بيتشر ستو" الرواية بحوار مضمونه تقرير مصير "العم توم" العبد الذي يملكه السيد شلبي، ليكون كبش فداء لديونه التي لم يستطع تسديدها للسيد هالي النخاس الذي قدم من الجنوب «**كان ذلك في مساء من شهر شباط، وكانت الليلة باردة جدا. وفي حجرة طعام مريحة بمدينة (ب) بولاية كنتاكي في الولايات**

[1]– هيجل، العقل في التاريخ، ص 181.

المتحدة الأمريكية، كان يجلس رجلان أمامها زجاجة من الخمرة، وقد بدا على وجهيهما الاهتمام، مما يدلّ على أنهما يبحثان أمرا ذا بال...قال السيد شلبي: "على هذا النحو أريد أن أسوّي هذه القضية!" فردّ الآخر..."إن هذا الحلّ لا يوافقني..."ولكن توم، ياهالي، خادم نادر المثال...إنه مخلص، صادق، مجرّب" فردّ الآخر... "مخلص!تريد أن تقول على قدر ما يكون الزّنجيّ مخلصا!"»[1] فالرجل الأبيض أصبح يسعى فقط لإرضاء غرور الأنا، وإسكات صراخ مركزيته.

وانطلاقا من هذا الشاهد نلاحظ أنّ المعاملة التي كان يتلقاها الزنوج، مرادفة لمعاملتهم للأثاث ومختلف الأشياء الجامدة التي تباع وتشترى، ويبث في أسعارهم وطريقة شرائهم، فمع أنّ ثمن العم توم كان غاليا نظرا لأنه يتميز بصفة الإخلاص، إلاّ أننا نجد السيد هالي يستهزأ به ويستكثر عليه هذه الصفة التي يراها تقتصر على البيض فقط، ويرى أنها صفة ليس من الممكن توفرها في عبد أسود، وهو الأمر الذي يظهر جليا في الرواية في قول السيد هالي معقبا على كلام السيد شلبي بعلامات التعجب والاستفهام «**مخلص! تريد أن تقول على قدر ما يكون الزّنجيّ مخلصا!**»[2].

ومن هنا تجدر بنا الإشارة إلى أنّ العبودية كنسق لا يصور معاناة الزنوج فقط في أمريكا، بل يصور أبشع من ذلك، والمتمثل في سلخ صفة الإنسانية من الزنوج على اعتبار أنهم حيوانات تباع وتشترى ويتصرف فيها وفي أولادها على حسب سيدهم، يظهر ذلك في حوار دار بين السيد شلبي والسيد هالي بخصوص نزع ابن الخادمة أليزا

---

[1]–هاربيت بيتشر ستو، كوخ العم توم، ص 7–8.

[2]– المصدر نفسه، ص 8.

الذي لا يفوق الخمس سنوات وبيعه، مما يجسد لنا مشهد لقمة انعدام الضمير الإنساني عند الرّجل الأبيض يقول هالي **«هنالك تعطيها زوجتك قرطا لأذنيها أو رداء جديدا، أو أيّ شيء آخر لاسترضائها والتّسرية عنها. إنّ هذه المخلوقات لا تشبه ذوي البشرة البيضاء.. في استطاعتك إعادة الرّضا إليها بحسن التصرف!»**[1] وكأنّ أم الطفل الذي أراد أن يأخذه هالي لا تملك أدنى مقدار من الأمومة حتى تفرط في ابنها الصغير، فلذة كبدها الذي يبلغ من العمر أربعة سنوات، والذي جاءها بعد أن فقدت اثنين من أبنائها.

ولو وجد التميز والإبداع عند الزنوج لقضي عليه قبل أن يرى النور، وهذا ما حدث مع "جورج هاريس" أحد العبيد الزنوج، شاب ذكي وفطن، كان يعمل في أحد المصانع، فأهدى العاملين معه آلة عجز عليها سيده ليخفف عنهم أعباء العمل الشاق الذي يدوم لساعات ويختصر عليهم الوقت **«ولقد اهتدى رحالة انجليزي إلى أمثلة لزنوج أصبحوا قساوسة أكفاء، وأطباء...الخ، فقد كان أول من اكتشف الكينا رجلا زنجيا»**[2] فكانت مكافئته التحقير والإذلال وهذا كله بسبب جنسه الذي يخالف جنس سيده، وهو السبب الرئيسي للعبودية والعنصرية التي كان يعانيها العبيد عبر مختلف المناطق، فما كان من سيده إلا أن نكر عمله واحتقره **«عندما حدثت العبودية وجد نمط يعتبر الأسود جنسا إفريقيا أدنى ينظر إليه أنه أقل ذكاء بينما الرجل الأبيض ينظر إليه باعتباره أسمى»**[3] فقام السيد بعزل جورج وأسند إليه مختلف الأعمال الشاقة، بالإضافة

---

[1]– هارييت بيتشر ستو، كوخ العم توم، ص 12.

[2]–عايدة العزب موسى، قرن الرعب الافريقي، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، ط1، 2014، ص8.

[3]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

إلى شتمه والحط من قيمته، وإذلال نفسه التي أثبتت وجودها كإنسان له كيان وعقل يفكر ويخترع، إلاّ أنّ السيد لم يتحمل فكرة أن يكون عبده أفضل منه حتى لو اخترع آلة كانت في صالحه «**...اخترع جورج آلة لنزع قشور القنّب. وشاع نبأ اختراعه في المنطقة، حتى وصل الأمر إلى مسامع سيّده، وهو رجل فظّ المعاملة، فاستشاط غضبا بعد أن رأى عبده متفوقا عليه وراح يصيح: "ما حاجة مثل هذا العبد إلى اختراع الآلات؟ أليرفع رأسه بين السادة؟ لا بد من وضع حد لهذا العبث!"**»[1]

فحتى يرضي السيد غرور أناه قام بإذلال جورج (الآخر) الذي يراه دائما دونه بالرغم من أنه أفضل منه في بعض الحالات وهذا ما أثبته جورج من خلال اختراعه «**وهكذا أعيد جورج إلى المزرعة، حيث أسندت إليه أشق الأعمال الزراعية**»[2]وكأنّ الزنوج لم يخلقوا سوى للخدمة «**ولقد كان ضعف الأمريكيين الأصليين البدني سببا رئيسيا في جلب الزّنوج إلى أمريكا واستخدامهم في الأعمال التي ينبغي أن تتم في العالم الجديد**»[3]

ومن شدة حقد السادة على العبيد الزنوج ونكرانهم لهم، وكأنهم يقتنصون الفرص لإذلالهم والإنقاص من عزة أنفسهم، وهذا ما حدث مع جورج عندما نهى ابن سيده عن أذية الحصان، وهو أمر واجب تحث عليه العقيدة المجتمعية قبل العقيدة السماوية، لم يتحمل سيده وعاقبه بطريقة وحشية للانتقام منه وهذا بسبب قلبه الحاقد على عمله

---

[1]–هارييت بيتشر ستو، كوخ العم توم، ص 16.

[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– هيجل، العقل في التاريخ، ص159–160.

وفطنته وذكائه، لتتواصل مسيرة حياة جورج القاسية مع معاناته كعبد، حيث تصور لنا الروائية هذا الموقف الذي تتجلى فيه قمة العبودية والتحقير، لينال جورج في الأخير عذابا قاسيا على يد ابن السيد، بالرغم من أن جورج هو صاحب الحق وابن السيد هو المخطئ «**كان السيد الصغير واقفا هناك يفرقع بسوطه قريبا من أذني الحصان، الذي خاف خوفا شديدا. فرجوته، بكل أدب أن يتوقف عن هذا العمل...فما كان منه إلاّ أن استدار نحوي، وأخذ يضربني بالسّوط، ثم أطلق صيحات مرعبة، وانطلق نحو والده يشكوني إليه ويدّعي أنني ضرّبته. وما عتّم والده أن جاء...فربطني إلى جذع شجرة وأعطى ابنه رزمة من العصيّ، وطلب إليه أن يضربني إلى أن تكلّ يداه. وهكذا كان!**»[1] وهو نفس ما جاء في رواية قلب الظلام لجوزيف كونراد في قول كورتيز «**أبيدوا كل المتوحشين**»[2] فالأنا دائما ما تصف الآخر عامة والزنجي خاصة بالتوحش والهمجية والتخلف.

وجّه العبد جورج صفعة قوية لسيده بهروبه من المزرعة وهذا عائد إلى عزة في نفسه وإبائه عن الرضوخ، مصطحبا معه زوجته وابنه من أجل تحريرهما من قساوة السادة الذين يتبعون نفس طريقة التعامل مع العبيد، الأمر الذي حدث معه ومع أسرته مع نظام العبودية القاسي وهو ما يظهر لنا جليا في القول التالي «**وقد رأيت أمي تباع أمامي بالمزاد مع أولادها السبعة. لقد بيع إخوتي إلى سبعة أسياد مختلفين. وقد**

[1]– هاريت بيتشر ستو، كوخ العم توم، ص 20.

[2]– إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ص 108.

ركعت أمي أمام سيدي تضرع إليه أن يشتريها معي، فما كان منه إلاّ أن رفسها بقدمه ليبعدها عنه. لقد رأيت هذا بعيني رأسي»[1]

فمن خلال قراءتنا للرواية واستنباط الأنساق الموجودة فيها لاحظنا أنّ "جورج هاريس" كشخصية روائية رفضت الرضوخ لمركزية الأنا وتسلط الرجل الأبيض، الذي ذاق على يده الويلات، ليجتاز الكثير من المصاعب والتحديات ويتمكن في الأخير من الهروب والنجاة مع زوجته وابنه، الذي كان سيباع في سوق النخاسة ليتذوق طعم الحرية بعيدا عن المعاناة التي عاشها ومازال يعيشها رفقائه الزنوج .

لا يعلم بالعبد ويشعر به إلا عبدا مثله، فقد كان العبيد رحماء فيما بينهم لأنهم تحت وطأة نفس المعاناة، فكانوا يتقاسمون أعباء الحياة ويستسلمون لسطوة سيدهم حتى فقدوا قيمتهم وثقتهم بأنفسهم، وهذا بسبب وحشية سادتهم وشيطانية أعمالهم التي أنستهم أنفسهم فأصبحوا يعيشون بلا هدف.

وكان في معتقد السادة أن العبيد ما هم سوى بضاعة تباع وتشترى ويقايض في ثمنها، وهذا ما ساد في مجتمع العبودية آنفا «**كان السود دائما الضحية، ولأنه أسود إما أن يستعمر في بلاده أو يصدر كإفريقي خارج بلده، ولما كانت كل هذه الانتهاكات لأجل جنسه فقط، أدرك أنه قبل كل شيء لا بد أن يستوحي الضمير واليقظة من هذا الجنس المنتهك**»[2]فبعد أن تنقل توم بين كل من السيد شلبي، والسيد هالي ثم سانت كلير حان الدور أن يعرض مرة أخرى للبيع على يد زوجة السيد سانت كلير «**بعد أيام من**

[1]–هارييت بيتشر ستو، كوخ العم توم، ص 57–58.

[2]– عايدة العزب موسى، قرن الرعب الافريقي، ص9.

غياب سانت كلير، كان يقف على الشرفة (توم)، وهو غارق أتدري، يا توم، أننا سنباع جميعا؟ لقد كنت أختبئ وراء الستائر عندما كانت السيدة تتحدث إلى المحامي. وقد سمعت كلّ شيء: إننا سنباع بالمزاد بعد أيام قليلة!»[1] فإنّ لحق السادة أن تتصرف بعبيدها كيفما تشاء، ولا يملك الزنجي حق الرّد إذا عرض للبيع وكأنه بضاعة لا محالة، فقد سمع هذا الزنجي أنه معروض هو وأتباعه للبيع ويا أسفاه...لا يستطيع أن ينطق بكلمة رفض.. فهم أناس لا حول لهم ولا قوة.

ولأنّ صفة العبيد قد طبع عليها خاصية البيع والشراء، ففي مجتمع العبيد كانت النفس رخيصة إلى حد أنها كانت تباع بثمن بخس دراهم معدودات، حتى أنه في بعض الأحيان لا يقبض حقها مالا، وإنما مواد بقالة أو أشياء أخرى أرخص بكثير من الروح البشرية، لأن العبد لا يساوي شيئا عند سيده سوى مصدر للتجارة والخدمة «**ففي الداخلة تشكيلة من الأزواج والزوجات، من الإخوة والأخوات، من الآباء والأمهات...للبيع بالجملة والمفرّق.. وهكذا تباع هذه الروح البشرية، أو تؤجّر، أو يقايض بها مقابل موادّ البقالة أو أيّ موادّ أخرى، تبعا لرغبة التاجر ومتطلّبات السوق»**[2]

لا حرية تعبير ولا عدالة ولا حقوق يتمتع بها الزنوج العبيد وكأنهم حيوانات مقيدة بالأغلال والسلاسل، وإن تكلم أحدهم أو حاول أن يبدي رأيه أو يقف في وجه الظلم المرتكب في حقهم فالويل له ثم الويل، فكان ما يتلقونه من عذاب جراء ذلك

[1]– هاريت بيتشر ستو، كوخ العم توم، ص 101.

[2]– المصدر نفسه، ص 106.

يجعلهم يتمنون الموت، فعقوبة السادة للعبيد كانت تشبه القتل البطيء **«توم...هيا اجلد هذه المرأة! ...سيدي! أرجو أن تعفيني من هذا العمل...إنّني مستعد أن أعمل ليل نهار، ما دام في صدري نفس يتردّد! أمّا ما تدعوني إليه، فلن أرتكبه، لأنني أراه غير عادل!...كيف، أيها الحيوان الأسود الحقير، لا تجد عدلا مت آمرك به؟ ومتى كان لقطيع من البهائم الدنيئة مثلكم أن يعرف ما هو حق وما هو غير حق؟»**[1]

وكأن الأسياد وحدهم من يعرفون الصواب من الخطأ، ولا يحق لعبيدهم أن يتدخلوا في أي شأن كان، فهم دائما في دائرة المهمشين.

ولأنّه رفض ضرب أحد الخادمات، تعرض لأبشع أنواع السّب ومختلف كلمات التجريح.

أمّا صفة الاحتقار والتسلط والظلم وغيرها من صفات السيطرة، فكانت صفة مطبوعة في جميع السادة، فقد مارسوا على عبيدهم أقصى أنواع الذّل وأوقعوهم تحت نعال أقدامهم، وكأنهم خلقوا لأجل خدمتهم وتنفيذ أوامرهم **«أيها الخدم أطيعوا سادتكم؟ ألست سيدا لك؟ ألم أدفع ألفا ومئتي دولار في ما يشتمل عليه هذا الهيكل الأسود اللعين؟ ألست ملكا لي، جسدا وروحا؟»**[2] وكأنه بمجرد أنه دفع حقّه أصبح لا يملك أدنى حق، ناهيك عن الاستهزاء بشكله وجنسه ولونه، أسيد في هيأة وحوش!

كانت مهنة السادة إهانة واحتقار العبيد فكان همهم وشغلهم الشاغل الحط من قيمة هؤلاء المخلوقات التي لا حول لها ولا قوة، ولم يقتصر إذلالهم للزنوج بالسّب

---

[1]– هاريت بيتشر ستو، كوخ العم توم، ص 123.

[2]– المصدر نفسه، 124.

والشتم، فقد تعدى ذلك إلى الضرب المبرح الذي أسقط العمّ توم أرضا من شدة قوة الضربات الموجهة إليه «**سامبو، كمبو، إليّ، خذ هذا الكلب، واضرباه ضربا لا يستطيع أن يقوم منه، قبل شهر!**»[1]

إلا أنّ "العمّ توم" اتسم بصفة الصدق والأمانة والوفاء بالعهود وكتم الأسرار فبالرغم من العذاب لم يبح بسر كتمه ففضل الموت بدل الخيانة ففي كل مرة كان موقف العم توم واحد في جميع المواضع، تحمل الظلم في سبيل تحرير بقية العبيد، ومن أجل أن ينعم باقي الزنوج بالعيش الهنيء، فكانت حياته ثمن ذلك.

مات جسد العمّ توم ولكن اسمه لم يمت فعلى مرّ السنوات ما زال يذكر كمثال للتضحية ويذكر بالدعوات لأنه ضحى بنفسه من أجل استقلال ملايين العبيد بعده فهو عظيمهم وأسطورتهم وقصة حياته أثرت تاريخيا وجغرافيا في جميع النفوس.

من خلال قراءتنا للرواية وتحليل أحداثها نستنتج أنّ، لكل زنجي كانت له وجهة نظر، لأنه إنسان له عقل وله فكر، وروح وكيان خاص به، فجورج كان رافضا للعبودية بأشكالها المختلفة وقرّر الهروب ليؤسس لنفسه حياة كريمة بعيدة عن الذل والهوان.

على عكس شخصية العمّ توم الذي كانت له وجهة نظر أخرى، حيث واجه الواقع وعاشه بكل ألامه وتفاصيله من معاناة وقسوة، حيث فضل أن يكون راضخا لأسياده وهي صفة عرفت في الزنوج ويذكرنا هذا الخضوع بمقولة هيجل «**ولا يرى**

[1]– هارييت بيتشر ستو، كوخ العم توم، ص 124–125.

الزنوج في هذه الرابطة شيئا مشينا لا يليق بهم»[1]، ليكون توم في الأخير سببا في تحرير جميع العبيد الذين كانوا معه في مزرعة السيد شلبي **«لقد عاهدت الله أن لا أمتلك، في يوم من الأيام، عبدا مالم يكن في وسعي إعتاقه...أيها الأصدقاء، كلما شعرتم أنكم سعداء بالحرية، التي تتمتعون بها، اذكروا أنكم إنما نلتموها بفضل تلك الروح الطاهرة النقيّة (العمّ توم)»**[2] بعد أن سمع السيد جورج شلبي المعاناة التي نالها توم من أسياده قرّر أن يعتق كل العبيد في مزرعته لأنه أدرك أنّ «**أنّ الرق، في ذاته ولذاته، ظلم، لأنّ ماهية الإنسان هي الحرية».**[3]

[1]– هيجل، العقل في التاريخ، ص 181.

[2]–هاربيت بيتشرستو، كوخ العم توم، ص159.

[3]–هيجل، العقل في التاريخ، ص182.

خاتمة:

تعدّ اللّغة أهمّ وسيلة للاتّصال والتّواصل بين النّاس، باعتبارها إحدى الأدوات المهمّة، الّتي يلجأ إليها الأفراد على مرّ العصور، للتّعبير عن احتياجاتهم، ومشاعرهم، وايديولوجيّاتهم، وأفكارهم، ووصف الأشياء من حولهم، ومن خلال تحليلنا للخطاب الإفريقي الأمريكي، ودراستنا للرواية، خلصنا إلى مجموعة من النتائج والاستنتاجات والتي نجملها في ما يلي.

كما أن العبودية كمظهر اجتماعي ظاهرة كانت قائمة بذاتها منذ الأزل؛ أي منذ أن استوطن الإنسان المدينة وأسس حياته فيها، حيث تقوم على إخضاع الأضعف لسيادة الأقوى، فالآخر خاضع لسلطة الأنا ولا يخرج عن نطاق أحكامها، عكس الأنا الذي يفرض نفسه على الجميع ولا يمكن استعباده.

ملامسة الكاتبة لواقع الزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية، وكشف المسكوت عنه، من خلال رواية "كوخ العمّ توم" التي جسدت معاناة العبيد في المزارع الجنوبية، وما تعرضوا له من ظلم واذلال.

معاناة الجنس الأسود في مختلف بقاع العالم، من اضطهاد الرّجل الأبيض له بسبب لونه، واعتباره هامشا ليس له الحقّ لا في الحياة ولا في الحرّية.

كان الغرض الرّئيس من روايات العبيدلفت انتباه المجتمع من مختلف الشّرائح، إلى معاناة الزّنوج في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، بصفة خاصّة والعالم بصفة عامّة.

دور الأدب في أمريكا رصد الواقع الاجتماعي، ومعالجة القضايا التي كانت مثار الجدل في العالم، وإيصال صوت الفئات المغلوبة، من خلال الكتابة الأدبية والانتاج الإبداعي.

كما خلصنا إلى أنّ الأدب لا نستطيع أن نفصله عن وظيفته، وعن النّسق الثقافي لأهميته في إحداث الاشكاليات، فقد تنوعت الأنساق الثّقافية في رواية كوخ العم توم بين نسق الاستعباد والاستبعاد والتوحش ..وغيرها من الأنساق إلاّ أنّنا ركزنا على نسق واحد، وهو نسق العبودية لطغيانه على النص الروائي الذي قمنا بدراسته.

ومنه نستخلص أنّ الرّواية خاضعة لرؤية الروائي الثقافيّة، وللخلفية الاجتماعيّة، ولا شك أنّ أنساقا أخرى تختبئ بين ثناياها لم يسعفنا الوقت لدراستها، حسبنا أننا حاولنا جاهدين دراستها وتفكيكها للوصول إلى الخفي والمضمر منها، فإن أصبنا فمن الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا.

مصادر البحث ومراجعه

مصادر البحث ومراجعه

أ- المصادر

1-هاريت بيتشر ستو، كوخ العم توم، دار العلم للملايين، تر: أكرم الرافعي، ط6، بيروت، 1979.

ب-المراجع

1-المراجع العربية

1- أبي جندل الأزدي، الله أكبر خربت أمريكا، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، د ط د س.

2- أحمد زعزاع ومجموعة من الأكاديميين، العين الثالثة تطبيقات في النقد الثقافي وما بعد الكولونيالي، إعداد: حياة أم السعد، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018.

3- أحمد منصور، استرقاق الأسرى وأثر ذلك في العلاقات بين دول المغرب وأوروبا خلال القرن 18، مجلة عصور، دار المريخ للنشر، لندن.

4- اسماعيل خلباص حمادي، إحسان ناصر، النقد الثقافي مفهومه، منهجه واجراءاته، مجلة كلية التربية، جامعة واسط ، العراق، العدد 13، 2013.

5- أنور محمد فرج أحمد، المركزية الغربية بين التمركز حول الذات إلى الهيمنة على الآخر، هيئة الأعمال الفكرية، 2014.

6- باسم رزق علي، إفريقيا والغرب، (دراسة لأراء المفكر الإفريقي اللاتيني وولتررودني)، تقديم: ابراهيم نصر الدين، مركز البحث العربية والإفريقية، القاهرة، 2010.

7- جلال يحيى، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، "الفجر"، ج 1، (د،ط)، (د،س)، المكتب الجامعي الحديث، شارع سوتير سيراميكا كليوباترا.

8- جمال زكريا قاسم، مسألة الرّق في إفريقيا (بحوث ودراسات)، مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط1، تونس 1989.

9- شوقي بدر يوسف، الرواية الإفريقية، إطلالة مشهدية، وكالة الصحافة العربية (ناشرون)، القاهرة، 2017.

10- صباح كريم رياح الفتلاوي، لمحات من مشكلة الرّق في أوروبا والولايات المتّحدة الأمريكيّة حتى عام 1863، مجلة البصرة، العدد 87، 2016.

11- ضياء الدين الكعبي، السرد العربي القديم، الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

12- عايدة العزب موسى، قرن الرعب الإفريقي، دار النشر للثقافة والعلوم، مصر، ط1، 2014.

13- عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، البيروت، 1961.

14- عبد السلام الترمانيني، الرّق ماضيه وحاضره، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة، 1979.

15- عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد الغامدي، المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الإنسان، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المملكة العربية السعودية، جدة، 2014، ط1.

16- عبد الله ابراهيم، المركزية الغربية، إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997.

17- عبد الله ابراهيم، المطابقة والاختلاف، بحث في نقد المركزيات الثقافية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2005.

18- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، البيروت، ط1، 2000.

19- عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر، دمشق، سوريا، بيروت، ط1.

20- عبد الله خليل هيلات، الموسوعة الأدبية، العالمية، دار الكتاب الثقافي، الأردن، أربد، 2012.

21- عزيزة فوال بابتي، موسوعة الأعلام، العرب والمسلمين والعالمين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2.

22- عيسى علي إبراهيم، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، دار المعارف الجامعية.

23- محمد النيرب، المدخل في تاريخ الو م أ، (الجزء 1 حتى 1877)، ط1، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1977.

24- محمد حمدي علي، الاكتشافات الجغرافية، (من القرن الخامس عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر)، ط1، المطبعة الجمالية، القاهرة، 1993.

25- محمد عزيز الحبابي، مفاهيم مبهمة في الفكر العربي المعاصر، دار المعارف، 1990، القاهرة.

26- محمد عمارة، الإسلام في عيون غربية، بين افتراء الجهلاء وانفاق العلماء، دار الشروق.

27- محمد عمارة، بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2009/1430.

28- محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، ط1، 1996.

المصادر المترجمة

1-إدوارد سعيد، الثقافة والامبريالية، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2014.

2-إي إيتشغومبريتش، مختصر تاريخ العالم، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، عالم المعرفة، 2013.

3-بيتر بروكر، الحداثة وما بعد الحداثة، ترجمة، د. عبد الوهاب علوب، منشورات المجمع الثقافي، أبو ضبي، ط1، 1995.

4-بيتر هاي، موجز تاريخ الأدب الأمريكي، ترجمة هيثم علي حجازي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990.

5-جون ستيل جوردون، إمبراطورية الثورة، ترجمة هشام ممدوح طه، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2007.

6-ديورانت ول، وايريل، قصة الحضارة (عصر لويس الرابع عشر، تاريخ الحضارة الأوروبية)، 1648-1715، تر: فؤاد أندراوس، ج1، م1، دار العلم للملايين، بيروت، 1964.

7-سيرج لاتوش، تغريب العالم، بحث حول دلالة ومغزى وحدود تنميط العالم، ترجمة خليل كلفة، دار العالم الثالث، القاهرة.

8-فريديريك دوغلاس، مذكرات عبد أمريكي، ترجمة إبراهيم عبد المجيد، بيت الياسمين للنشر والتوزيع.

9-فنست ب. ليتش، النقد الأدبي الأمريكي، من الثلاثينيات إلى الثمانينيات، ترجمة محمد يحي، المجلس الأعلى للثقافة، 2000.

10- ك. نلووفك.نوريس.جأوزيورن، موسوعة كامبردج في النقد الأدبي، ج9، القرن العشرون المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، مراجعة وإشراف: رضوى عاشور، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، العدد919، القاهرة، 2005.

11- لويس تاسيون، النظريات النقدية المعاصرة، ترجمة د. أنس عبد الرزاق مكتبي، دار جامعة الملك سعود للنشر، الرياض، 1435.

12- ميشال دوفيز، أوروبا والعالم في نهاية القرن الثامن عشر، ترجمة: إلياس مرقص، دار الحقيقة، بيروت، 1980.

13- هيغل، العقل في التاريخ، تر: إمام عبد الفتاح، دار التنوير، بيروت، ط3، 2007.

المعاجم والقواميس

1-ابن منظور، لسان العرب، مج 3، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ص 1707.

2-ابن منظور، معجم لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، مج 5، مادة نسق 1917.

3-أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقياس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج3، 1979.

4-الزيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دراسة وتحقيق علي الشري، دار الفكر والطباعة والنشر والتوزيع، مج 13، بيروت، 1958.

5-الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير، ج1، بيروت، دار الفكر (د،ط)، (د،ت).

6- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، ج3، مادة نسق، 2005.

7-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، 2005،.

المصادر الأجنبية:

1- A. Raffenel, Naveau Voyage dans le pays des négres, suivi d'études sur la colonie du semégal et de documents historique, géographiques et scientifiques, op , cit.

2- A.S, History of nigeria, London, 1962.

3- Albert Murray, cited in Robert Stepto, « AFRO American Literature » in Emoryelliort (ed) colombia Literary History of united states (new york : colombia university press, 1988.

4- Charlest Davis and Henry Louis Gates JR (eds), The slave (New york, oxford university press, 1985).

5- E. SIK, Histoire de L'Afrique noire.

6- Eemmanuelchurwudieze (ed), Race and the Englightemment, Areader (cambridge ,Massi black well Publishers, 1997.

7- Engygaber, Afro American Littératureasytemic Functional analysis of discours in Selected of roamerican Slave narratives bouha university, 2016.

8- F.B Sigmond, La cause des exlavesnégres et des habitants de la Guinée.

9- Fohlen, les noirsauxetats-unis, paris, 1965.

10- J.K Ingram, Abistory of slavery and serfodan, éd. Adam et charles Black, London, 1895.

11- James Weldon Dohson, (preface) the Book of American Negro Poetry (1992) in Gates and Mackay (eds) the Norton Anthlogy.

12- Janet Kong-chow, harrietbeecherStowels letters, 1886, Stady, jovrnal of the pemmanuscriptcallective, article 7, 2017.

13- Meriem- Webster's advanced learner's englishdictionnaire.

14- PadalinoAlixandra, Hedrick, Joand, Harriet beecher stave., Alife biography paper, sacred heart university, 2015.

15- Sarah gakhlef, A new Historicist and camparative study of Harriet Beecher stowe's uncle ton's cabin Alan Pton's cry, the Belaved country, Adisserahmane submitted in partial fulfilment of the requirements for master's degree in literature and civilization, Abderrahmane Mira university of bejaia, 2018-2019.

16- W E B du bois, the souls of Black Folk, Essays and Sketchers, Eds And intro, David w. Bligh and Robert gooding-Williams (Boston BedFord Books 1997.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة .....

الفصل الأول: الخطاب الثقافي لزنوج الولايات المتحدة الأمريكية .....

المبحث الأول: استعباد الآخر المختلف في الثقافة الأمريكية .....

أولا: نشأة الرّق .....

1-المفهوم (لغة/ اصطلاحا) .....

2-أصول الرّق ومصادره .....

ثانيا: رحلة العبيد إلى العالم الجديد .....

1-اكتشاف أمريكا .....

2-رحلة الزنوج إلى العالم الجديد .....

المبحث الثاني: خطاب الأفريقانية ومقاومة أنساق العبودية .....

أولا: مفهوم النسق .....

1-لغة/اصطلاحا .....

2-المضمرة .....

3-الأنساق المضمرة .....

ثانيا: المركزية الغربية (مفهومها وأبعادها الثقافية) .....

1-المفهوم .....

أ- الغرب .....

ب-المركز .....

2-مراحل تشكل المركزية الغربية .....

أ- العصر اليوناني والروماني .....

ب- العصر الحديث .....

- الكشوفات الجغرافية .....

- الثورة الفكرية والعلمية .....

3-استعباد وتهميش الهندي الأمريكي .....

ثالثا: خطاب الأفريقانية (الخطاب الأفرو-أمريكي) .....

1-تاريخ الأدب والنقد الإفريقي الأمريكي .....

2-قضايا الأدب الإفريقي الأمريكي .....

2-1 الكتابة الزنجية قبل الحرب الأهلية .....

أ- سرد العبيد أولاودا إكويانو .....

ب- فريديريك دوغلاس .....

2-2 الكتابة الزنجية بعد الحرب الأهلية .....

أ- بول لورانس دانبار .....

2-3 الحركة الزنجية الجديدة (نهضة هارلم) .....

الفصل الثاني: الأدب الأمريكي .....

المبحث الأول: التعريف بالكاتبة هارييت بيتشر ستو .....

1-هارييت بيتشر ستو في شبابها .....

2-هاربيت بيتشر ستو والكتابة الأدبية .....

3-هاربيت بيتشر ستو ومساندتها لقضية إلغاء الرّق والعبودية .....

4-هاربيت بيتشر ستو في أيامها الأخيرة .....

المبحث الثاني: ظروف تشكل الرواية .....

1-ظروف تنزيل الرواية .....

2-موضوع الرواية .....

3-اللقاء التاريخي بين الكاتبة والرئيس أبراهام لنكولن .....

المبحث الثالث: الأنساق الثقافية في رواية كوخ العم توم .....

1-الشخصيات .....

2-نسق العبودية .....

خاتمة .....